الدكتور عبد الحليم محمود

فاذكروني .. أذكركم

دار المعارف

الدكتور
عبد الحليم محمود

فاذكروني .. أذكركم

الطبعة الرابعة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين

١ - فى الذِّكْرِ

الفصل الأول

بين يدى فَاذكرونى أذكُرْكم

إجمال
فى بيان الطريق إلى الله

يقول الله تعالى فى سورة الزمر – تلك السورة التى أخرج النسائى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقرؤها كل ليلة :

﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم ﴾

وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال :

« ما أحب أن لى الدنيا ومافيها بهذه الآية :

﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ﴾

وجاء رجل – كما ورد فى مسند الإمام أحمد – إلى رسول الله ﷺ : شيخ كبير يدّعم على عصا له فقال :

يارسول الله ، إن لى غدرات وفجرات فهل يغفر لى ؟

فقال ﷺ :

« ألست تشهد أن لا إله إلا الله ؟ »

قال : بلى وأشهد أنك رسول الله .

قال ﷺ : قد غفر لك غدراتك وفجراتك .

إن الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة يفتح أبواب مغفرته ورحمته على مصاريعها ، إنه يرجى عباده حتى لاييأس أحد من رحمته .

﴿ إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾

﴿ قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾

والجو الإسلامى كله مفعم بفتح أبواب المغفرة والرحمة ..

فالحج المبرور مثلا يخرج الإنسان من ذنوبه ، حتى يصبح فى البراءة منها ، كيوم ولدته أمه .

ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ماتقدم من ذنبه . والإسلام يجبّ ماقبله .

وهذه الآيات الكريمة من سورة الزمر ، تبدأ ببيان رحمة الله الواسعة ، ومغفرته الشاملة ، ثم تأخذ فى رسم الطريق لذلك ، فيقول الله سبحانه :

﴿ وأنيبوا إلى ربكم ، وأسلموا له ، من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون ﴾ .

والطريق إذن إلى مغفرة الله ورحمته إنما هو التوبة الخالصة النصوح ، وهى الإنابة إلى الله سبحانه ، أى التوبة فى أسمى درجاتها ، وإسلام الوجه لله سبحانه .

وبعد أن يبرأ الإنسان من ذنوبه ترسم له الآية التى تتلو ذلك طريقه :

﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ، من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون ﴾

وأحسن ما أنزل إلينا من ربنا هو القرآن الحكيم – إنه : ﴿ يهدى للتى هى أقوم ﴾

وهو مهيمن على غيره ، مبين للحق فيما يختلف فيه أهل الكتب السماوية .

ثم يتلو ذلك آيات ثلاث تبين موقف الإنسان الذى لم يتب ، أو الذى تاب ولم يتبع :

﴿ أن تقول نفس ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين . أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين .

أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين ﴾ .

وكل ذلك لايجدى ، والرد عليه حاسم من قبل الله سبحانه الحكيم العليم :

﴿ بلى : قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴾

ويبين الله حالة هؤلاء يوم القيامة :

﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ، أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ﴾

لاشك أن فيها مثوى للمتكبرين ، مثوى يختلف ويتفاوت باختلاف درجاتهم فى الكبرياء والمعاصى وتفاوتهم فيها .

ويختم الله سبحانه هذه الآيات التى ترسم المنهج وتبين المآل والمصير ، ببيان مآل ومصير الذين تابوا واتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم ، فيقول سبحانه :

﴿ وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم ، لايمسهم السوء ، ولاهم يحزنون .. ﴾

مسئولية

يقول الله تعالى :

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾

وهذه الآية الكريمة يصفها رسول الله ﷺ ، بأنها « الجامعة الفاذة ».

ذلك أنها عامة شاملة ، وأنها عميقة دقيقة .

ولقد روى الإمام أحمد ، عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبى ﷺ فقرأ عليه هاتين الآيتين .. فلما سمعها قال : « حسبى ، لا أبالى أن لا أسمع غيرها » .

الآيتان تحددان المسئولية تحديداً لالبس فيه ، والجزاء مرتب على المسئولية :

فإن عمل الشخص الخير فإن جزاءه يكون الخير.

أما إذا عمل الشر فالشر جزاؤه.

ويقول الله سبحانه :

﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين ﴾.

والقرآن الكريم فى هذا الموضوع يبين أنه :

﴿ لاتزر وازرة وزر أخرى ﴾ ويفيد أنه :

﴿ ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾.

وقد أبان القرآن الكريم عاقبة عمل الخير. وعاقبة عمل الشر.

يقول الله تعالى فى جانب الخير :

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون ﴾.

وفى هذه الآية الكريمة رتب الله سبحانه السعادة على العمل الصالح الذى يقوم على الإيمان.

وهذه السعادة التى عبر الله سبحانه عنها بالحياة الطيبة ، إنما هى سعادة فى هذه الدنيا ، يعقبها سعادة أخروية.

وذلك ماعبر الله عنه بقوله فى الآية :

﴿ ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون ﴾ أى :

ونتيجة العمل الصالح ليس حتماً أن تكون تالية له.

فقد تكون فى أثنائه :

فتكون فى أثناء العمل طمأنينة نفس ، وراحة بال ، وهدوء ضمير .

ويذكر الله سبحانه قوانين الخير ، ومنها قانون التقوى فيقول تعالى :

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لايحتسب ﴾.

فالتقوى مؤدية إلى الفرج ، والخروج من المآزق والشدائد .

ويذكر الله سبحانه قانون التقوى أيضاً فى صورة أخرى فيقول :

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾.

والتقوى إذًا – وهى عمل صالح خالص لوجه الله – تفيد بالنسبة للفرد ، وتفيد بالنسبة للقرى والجماعات .

أما الشر فإن له قوانينه أيضاً التى ذكرها الله سبحانه وتعالى .

يقول سبحانه :

﴿ ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾.

والويل : هو الخسران وعدم الفلاح .

إنه يصيب كل مطفف .. إنه يصيب الذى يزيد إذا أخذ ، وينقص إذا أعطى ، ويصيب بالمثل كل مطفف .

إن الموظف مطفف إذا لم يؤد حق الوظيفة على ماينبغى ، والمدرس

مطفف إذا لم يقم بتربية الأمانات التى وكلت إليه كما يجب ، والعامل مطفف إذا لم يتقن عمله .

ومامن شك فى أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ، والصانع مطفف إذا لم يوف بما عهد إليه ، والتلميذ مطفف إذا لم يؤدّ واجب الدراسة على الوجه الأكمل .

وكل مطفف جزاؤه الخسران والعذاب .

وبعد :

فقد يتساءل إنسان عن أمور الخير حتى يتبعها ، وعن أمور الشر حتى يجتنبها ؟

والأمران حددهما الله تعالى فى كتابه الكريم ، وعلى لسان رسوله ﷺ فى سنته الشريفة .

فإذا اتبع المؤمن بحكم إيمانه مامأمر الله به ، واجتنب مانهى الله عنه فقد اعتصم بالله :

﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ﴾ .

لايأس

يقول الله تعالى :

﴿ وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد ﴾ ..

إن من علامات صدق الإيمان الثقة المطلقة فى الله سبحانه وتعالى ، فى رحمته ، فى رأفته ، فى عدالته ، فى لطفه ، فى عنايته بالمؤمن ، ورعايته له .

الثقة برحمة الله وفرجه حتى ولو كانت كل الشواهد تدل على أن لا أمل ، ولو كانت كل الظروف تشعر بالضيق .

والآية الكريمة التى نحن بصددها تشرح ذلك فى إيجاز واضح ، وفى جمال بليغ ، إنه سبحانه ينزل الغيث فى الوقت الذى يظن المحتاجون أن لا أمل فى قطرة ماء وينشر رحمته فى الأجواء اليائسة القانطة ، فينقلب الجدب خضرة يانعة ، ويصير القحط روضات وجنات ، وذلك أن من صفاته سبحانه أنه ولى للمؤمن ، حميد فى جميع تصرفاته .

إنه يتولى برحمته من حقق العبودية ، وأفعاله سبحانه حميدة دائماً لأنه سبحانه حميد .

وهذه الصورة من الإيمان الواثق بفرج الله ورحمته هى التى عبر عنها سيدنا يعقوب عليه السلام قائلا لبنيه :

﴿ يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ، ولاتيأسوا من روح الله ، إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾

وهى التى تجعل المؤمنين يلجئون إلى الله دائماً بالدعاء والتضرع فيستجيب الله لهم كلما أخلصوا وجههم له :

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾ .

﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب . أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى ﴾.

والله الرحيم هو الذى يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء . وصلة الله سبحانه وتعالى بالإنسان صلة رحمة ورأفة .

ورحمته سبحانه وتعالى تتجلى فى كل ماأسداه سبحانه لعباده من هذه النعم المادية التى لاتحصى :

﴿ وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ﴾ .

ولكنها تتجلى فى أجمل مظاهرها فى قواعد الهداية التى أحبها الله لعباده ، والتى يدور عليها درجة سموهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . وهى نعمة منبثقة رأساً من رحمة الله يقول سبحانه :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

« إنما أنا رحمة مهداة » .

ورحمة الله فى الهداية أجلى عند أولى الألباب من رحمته فى النعم المادية ، وذلك أن رحمته فى الهداية نتيجتها لمن يتبعوها الأمن والطمأنينة والرضاء والسكينة ..

وهذه الأمور هى السعادة التى يسعى لها من وفقهم الله للسير على هداه .

وهداية الله إذا تبعها الأفراد سعدوا فى دنياهم وأخراهم ، وإذا

تبعها الجماعات أمنوا على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، وعاشوا أعزة بالله وبدينهم .

وهداية الله للأفراد ليست آراء تخطئ وتصيب ، وليست قوانين تظهر التجربة الخطأ فيها والصواب .

وإنما هي العصمة الكاملة ، لأنها تنزيل من حكيم خبير .

وقد ضمن الله سبحانه وتعالى لكل من يلتزمها أن يشمله برعايته ، فلا يقع في غمرة الحزن والخوف ، وإنما يسير في نور من توفيق الله ، وفي أمن من حمايته :

﴿ ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

وبعد :

فإن الله سبحانه وتعالى سمى نفسه بالرحمن ، وسمى نفسه بالرحيم ، وأمرنا أن نستفتح أعمالنا بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»

وإن من رحمة الإنسان بنفسه أن يلجأ إلى رحمة الله الكبرى ، وهي هديه سبحانه ، فيستظل في ظل دوحتها النضرة وهي القرآن الكريم . فينعم من وراء ذلك بمرضاة الله وبحمايته .

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ .

التجئ إلى الله

يقول الله تعالى :

﴿ يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد ﴾

إن من أجمل مايفسر هذه الآية الكريمة الحديث الصحيح الذى رواه الإمام مسلم ، والذى كان أبو إدريس الخولانى رضى الله عنه يرويه كثيراً ، وكان حينما يرويه يجثو رضى الله عنه على ركبتيه احتراماً وتقديساً للحديث ، ثم يبدأ فى ذكره .

عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

«يا عبادى : إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرّماً ، فلاتظالموا .

يا عبادى : كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم .

يا عبادى : كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعمونى أطعمكم .

يا عبادى : كلكم عارٍ إلا من كسوته ، فاستكسونى أكسكم .

يا عبادى : إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفرونى أغفر لكم .

يا عبادى : إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى .

يا عبادى : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئاً .

يا عبادى : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك فى ملكى شيئا .

يا عبادى : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر .

يا عبادى : إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

ومامن شك فى أن الإنسان – فى كل أحواله – فقير إلى الله . إنه فقير إلى الله فقراً مطلقاً فى الناحية المادية على اختلاف أنواعها .

﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلباً ، وفاكهة وأبا ، متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ .

﴿ أفرأيتم ماتحرثون ، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما ﴾ .

﴿ أفرأيتم الماء الذى تشربون ، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ﴾ .

والإنسان فقير إلى الله فى هدايته الروحية :

وإننا لنردد كل يوم مرات عدة .

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ .

والذين أنعم الله عليهم هم الذين اتبعوا هديه ، وعملوا به ، والتزموه .

وهدى الله سبحانه وتعالى يتضمنه القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة .

وإذا كان فقر الإنسان إلى الله فى الجانب المادى فقراً مطلقاً فإن فقره إلى الله فى الجانب الروحى فقر مطلق أيضاً .

وبعد :

فيقول صاحب كتاب التحبير :

« وإغناء الله عباده على قسمين » :

فمنهم من يغنيه بتنمية أمواله وهم العوام – وهو غنى مجازى – ومنهم من يغنيه بتصفية أحواله وهم الخواص – وهو الغنى الحقيقى – لأن احتياج الخلق إلى همة صاحب الحال ، أكثر من احتياجهم إلى لقمة صاحب المال . .

قد أفلح من زكّاها

يقول الله تعالى :

﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾

وتزكية النفس : هى مايريد الدين تحقيقه فى هذا العالم ، ويريد تحقيقه لأجل غايات شتّى :

أولها : أن تزكية النفس كمال إنسانى ، وسمو روحى ، ولا يتأتى هذا الكمال إلا إذا اتخذ الإنسان الطريق السليم .

والطريق السليم للكمال أو التزكية ليس نتيجة اختّراع بشرى ، أو ابتداع ذهنى ، أو رسم إنسانى .

فالعقول تختلف وتتعارض — وإنما هو من رسم العزيز الحكيم وقد رسمه الله سبحانه فى كتابه العزيز وبينه فى محكم تنزيله مفصلا واضحاً لالبس فيه .

وقد كان الرسول ﷺ مثلا تطبيقيًّا لهذا الرسم الإلهى للتزكية : لقد كان خلقه القرآن .

وإذا كانت تزكية النفس كمالا إنسانيًّا بالنسبة للفرد ، فإنها جوهر

العوامل فى استقرار المجتمع ، وفى الأمن بين ربوع الوطن ، وهذا هدف ثان من أهداف التزكية .

ومما لاشك فيه أنه كلما زادت نسبة التزكية فى مجتمع ما كان الأفراد فى طمأنينة على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، وكانوا بذلك فى محيط من السعادة أكمل وأتم ، وكان مجتمعهم من المجتمعات التى يغبطون عليها .

والهدف الثالث من أهداف التزكية إنما هو النجاة بل النعيم فى الآخرة .

يقول سبحانه :

﴿ جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴾ .

وسبيل هذه التزكية الأصيل ، وأساسها الراسخ ، إنما هو الإيمان اليقينى الذى يسلم فى ثقة القياد إلى الله ، ويلقى بنفسه فى ثقة وغبطة تحت الراية الإلهية يستظل بظلها ، ويحملها ، ويرفعها ترفرف على الآخرين لينضووا تحت لوائها : أى أنه يؤمن ويبشر بالإيمان وينشره ، آمراً بالمعروف – أى الخير والفضيلة – ناهياً عن المنكر – أى الشر والرذيلة .

فإذا ماتوفر الإيمان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أدى ذلك إلى صلاح الفرد ، وصلاح المجتمع ، والفوز فى الآخرة .

والخطوة الأولى فى طريق تحقيق الإيمان تحقيقاً صادقاً ، والخطوة

الأولى فى سبيل تزكية النفس ، إنما هى الاتجاه إلى الله بالتوبة الخالصة النصوح ، التوبة التى تفصل بين عهدين :

عهد ليس فيه صلح مع الله سبحانه .

وعهد فيه الصلح مع الله تعالى .

والتوبة الخالصة النصوح تضع الإنسان مباشرة فى مرتبة البراءة ، إنها تغسل الذنوب ، وتطهر النفس ، فتصبح صحيفة الإنسان بيضاء ناصعة ، معدة لأن تكتب فيها الأعمال الصالحة .

وبعد :

فإن التوبة الخالصة النصوح ثرية بالمعانى ، فهى تتضمن :

العزم المصمم على إخلاص العمل لله ، إنها تتضمن نفى الشرك الظاهر والخفى .

وتتضمن :

العزم المصمم على العمل الصالح ، على التقوى ، على طيب المطعم ، على تحقيق مايرضى الله ، والابتعاد عما يغضبه .

ومن أجل ذلك كله يقول الله تعالى :

﴿ إن الله يحب التوابين ﴾ .

إن الله يحب التوابين

يقول الرسول ﷺ :

«أنا نبيّ التوبة».

والواقع أن الطريق إلى الحق الذى أرسل الله به رسوله إنما يبدأ بالتوبة الخالصة النصوح .

ولقد كان رسول الله ﷺ يعيش فى جو من التوبة مستمر ، ولقد روى عنه أنه كان يقول مامعناه :

«يأيها الناس : توبوا إلى الله واستغفروه ، فإنى أتوب إليه وأستغفره فى اليوم مائة مرة» .

وما كانت توبة رسول الله ﷺ عن ذنب ، وحاشاه ﷺ وهو المعصوم .

وما كانت توبته ﷺ عن غفلة ، كلا وحاشاه صلوات الله وسلامه عليه ، وإنما كانت توبته توبة عبادة ، وتوبة عبودية .

ومن أجل ذلك كان يكثر منها عبادة وعبودية ، وكان يكثر منها ليكون فى داخل الإطار الذى رسمه الله سبحانه وتعالى بقوله :

﴿إن الله يحب التوابين﴾

والتوابون : هم الذين يكثرون من التوبة .

وللتوبة الصادقة خصائص :

إنها أولا تخرج حظ الشيطان من القلب ، فيصبح طاهراً بريئاً من كل دنس ، وهذا هو المغزى العميق من وراء الجدل والمماراة فى حادث شق الصدر ، وما من شك فى أن المغزى الذى نأخذه من شق الصدر واستخراج حظ الشيطان منه هو الطهارة الكاملة للصدر.

ونشأ رسول الله ﷺ منذ بواكير حياته مطهراً نقيًّا . وأول خصائص التوبة إذاً إنما هى الطهارة والبراءة التامة .

وإذا أخذنا شق الصدر بالنسبة للرسول ﷺ بمثابة التوبة بالنسبة لنا فإننا نقول :

إن من خصائص التوبة حينما تتكرر فى صدق وإخلاص أن تملأ القلب سكينة ، لأن الإنسان بالتوبة الصادقة يلقى بنفسه فى الرحاب الإلهى فيسكن إلى الله وكفى بالله هادياً وكفى بالله نصيراً .

إنه بالتوبة — وهى نوع من اللجوء إلى الله ، والتضرع إليه ، والإنابة — يسلم الأمر إلى الله .

وفى التوبة تسليم ، وفى التوبة توحيد ، وفى التوبة توكل على الله ، فيمتلئ القلب سكينة .

وإذا كانت الأحاديث النبوية الشريفة تقول عن شق الصدر فى المرة الأولى :

«إن الملكين استخرجا حظ الشيطان من القلب الشريف» فإنها

تقول عن شق الصدر فى المرة الثانية :

«إن الملكين ملآ قلبه الشريف سكينة » .

وتتكرر التوبة فتصل إلى ما عبرت عنه الأحاديث الشريفة عن شق الصدر الشريف فى المرة الثالثة وذلك أن الملكين ملآ القلب الشريف حكمة .

وكذلك الأمر فى التوبة إذا دامت ..

ثم إنها إذا تكررت انتهت بحب الله للعبد المكثر من التوبة :

﴿إن الله يحب التوابين﴾ .

وكلمة رسول الله ﷺ : «أنا نبى التوبة ».

معناها فى النهاية :

أنا النبى الذى أتيت راسما للطريق الذى يسير بالإنسان فى خطى منتظمة إلى استخراج حظ الشيطان من القلب ، ثم إلى امتلاء القلب سكينة ، ثم إلى امتلاء القلب حكمة ، ثم إلى حب الله سبحانه وتعالى لعبده التائب .

وأما بعد :

فإن من طرائف العقول المستبصرة ما رواه صاحب كتاب الشامل ونقله عنه الإمام ابن كثير فى تفسيره من أن أعرابياً جاء إلى الضريح النبوى الشريف وقال : السلام عليك يارسول الله ، لقد قال الله فى كتابه العزيز :

﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ .

وقد جئتك مستغفراً لذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربي ، ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي ، وكان جالساً بالقرب منه رجل صالح يسمع كلامه ، فأخذته سنة من النوم فرأى النبي ﷺ في النوم يقول له : «الحق بالأعرابي فبشره بأن الله قد غفر له» .

إياك نعبد وإياك نستعين

يقول الله تعالى في سورة الفاتحة :

﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

روى الإمام ابن كثير عن بعض السلف قوله :

«إن الفاتحة سر القرآن ، وسرها هذه الكلمة :

﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

فالأول : أي قوله تعالى :

﴿ إياك نعبد ﴾ : تبرؤ من الشرك .

والثانى : أى قوله تعالى :

﴿ وإياك نستعين ﴾ تبرؤ من الحول والقوة ، وتفويض الأمر إلى الله عز وجل . وهذا المعنى ورد فى كثير من آيات القرآن .. منها قوله تعالى :

﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ ..

وهذه الكلمة القرآنية قد قدم الله سبحانه وتعالى لها بما يعتبر أساساً ومبرراً بقوله سبحانه وتعالى :

﴿ ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وماربك بغافل عما تعملون ﴾.

والله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله ﷺ قائلا له :

﴿ قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ﴾.

ويقول سبحانه :

﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾.

ومامن شك فى أن الآية الكريمة :

﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

تعنى عناية واضحة وجوب إخلاص العبادة لله وحده ، ووجوب قصر الاستعانة على الله وحده .

والقرآن يوضح بما لامزيد عليه أن الله سبحانه وتعالى هو وحده المتصرف فى الكون . إنه المتصرف فى اليسير من أمر الكون وفى العظيم منه :

﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شىء قدير﴾.

وهو سبحانه كما يملك السماوات والأرض وكما يمسكها أن تزولا ،

﴿ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده﴾ ،

فإنه يملك كل جزئية من جزئيات العالم :

إنه يملك البصر فى العين ، ويملك السمع فى الأذن كما يملك العين والأذن ويملك الصحة فى الجسم الصحيح ، ويملك استمرار الجاه عند ذوى الجاه ، ولو شاء سبحانه لأزال ذلك كله ومنع استمراره .

إن قوله تعالى :

﴿وإليه يُرجع الأمر كله﴾.

عام شامل .. ومن أجل ذلك :

فإن العبادة يجب أن تكون خالصة له ، وإن الاستعانة يجب أن تتمحص له ولقد رسم سبحانه الوسيلة الصحيحة للاستعانة به المثمرة :

إنها إخلاص العبادة له .. فمن أحب أن يكون الله سبحانه وتعالى معه بالتوفيق والتيسير والعون .. من أحب أن يستجيب الله له فليحقق العبودية له سبحانه :

فإياك نعبد : وسيلة لتحقيق ﴿وإياك نستعين﴾.

وفى حديث قدسى رواه الإمام البخارى توضيح لذلك ، يقول

رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه : «من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب ، وماتقرب إلى عبدى بشىء أحب إلىّ من أداءماافترضته عليه ، ومايزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتّى أحبه :

فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده الّتى يبطش بها ، ورجله الّتى يمشى بها ، وإن سألنى أعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيذنه» ..

وهذا الحديث الشريف يبين فى وضوح أن أحب شىء يتقرب به الإنسان إلى الله إنما هو أداء ماافترضه الله عليه ، وأن الإكثار من النوافل مع أداء الفرائض وسيلة إلى حب الله سبحانه وتعالى لعبده .

وإذا أحب الله إنساناً كان معه بالتوفيق والهداية والتيسير ، واستجاب له إذا سأل ، وأعاذه إذا استعاذ ..

وبعد :

فإن ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ هى : تحقيق للإيمان الصحيح والتقوى الصادقة ، أى أنها الصورة الواقعية لأولياء الله سبحانه .

والله تعالى يقول :

﴿ ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ، ولاهم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

اهدنا الصراط المستقيم

يقول تعالى فى سورة الفاتحة :

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾

والصراط المستقيم هو صراط الله الذى رسمه سبحانه فى كتابه العزيز وعلى لسان نبيه الكريم .. لقد رسمه الله سبحانه منهجاً ووسيلة ، ورسمه مبادئ وقواعد ، ورسمه غايات وأهدافاً .

ونحن بهذه الآية الكريمة نتجه إلى الله سبحانه ، ندعوه أن يهدينا إلى صراطه المستقيم وذلك أنه لايهدى إليه إلا هو : يقول سبحانه فى حديث قدسى : « ياعبادى كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم »

إن الهداية من الله سبحانه ، وإن من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له وإذا هدى الإنسان إلى الصراط المستقيم فقد فاز بالخير الذى أحبه الله للإنسان كاملا غير منقوص .

والصراط المستقيم هو الإيمان الصادق ، الإيمان الاتباعى :

أى الإيمان الذى تتحكم فيه التعاليم الإلهية تحكماً تامًّا ، ويسير فى إطارها راضياً مستسلماً مسلماً :

﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى

أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾

إن المؤمن لايؤمن حتى يحكم رسول الله ﷺ فى أمور عقيدته ، وفى أمور أخلاقه ، وفى أمور تشريعه .

وحتى يتقبل ذلك فى سكينة واطمئنان وغبطة .

ويصف الله سبحانه المؤمنين الصادقين فيقول :

﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون ﴾

وهذا الوصف للمؤمنين يتناول وصف الأساس القلبى :

إنه إيمان لاريب فيه ..

ويتناول الأثر والمظهر :

إنه الجهاد فى سبيل ماآمن به : جهاد النفس ، وجهاد المال ، جهاد بجميع أقطار النفس ، وجهاد بكل ماتملك .

وهذه الآية الكريمة تعتبر مقياساً صادقاً لكل من أراد أن يتبين حقيقة إيمانه .

والصراط المستقيم غايته ونهايته التى يؤدى إليها إنما هى الله سبحانه وتعالى .. وقد حددها سبحانه بقوله :

﴿ وأن إلى ربك المنتهى ﴾ .

وليس دون الله منتهى للمؤمن .

وغاية المؤمن – كل غايته – إنما هى الله سبحانه وتعالى .. ويبتدئ

السير إلى الله بالتوبة الخالصة النصوح . والتوبة الخالصة النصوح هى أول خطوة على الصراط المستقيم . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ .

ويقول سبحانه فى حديث قدسى :

ياعبادى : إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم » .

ورسول الله ﷺ يقول – فيما رواه الإمام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه :

« والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » .

ويقول ﷺ فيما رواه الإمام مسلم عن الأغر بن يسار رضى الله عنه :

« يأيها الناس : توبوا إلى الله واستغفروه . فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة » .

والصراط المستقيم إذن : يبدأ بالتوبة الخالصة النصوح . وليس له دون الله منتهى .

والله سبحانه وتعالى يصف المؤمنين مبيناً خطواتهم فى الطريق إلى الله . أو مبيناً الطريق نفسه فى تساميه وتدرجه . فيقول سبحانه فى وصفهم :

﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون

الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ﴾ .

ثم يختم الله سبحانه وتعالى هذا الوصف بقوله سبحانه :

﴿ وبشر المؤمنين ﴾ .

وبعد :

فإن قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وبشر المؤمنين ﴾ .

لاتحده حدود ، ولا تقيده قيود ، فالبشرى مطلقة :

إنها بشرى الله لهم بالنجاة وبالفوز فى الدنيا وفى الآخرة .

صراط الله

يقول الله تعالى :

﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ .

وصراط الله أساسه وجوهره إنما هو التوحيد .

إن التوحيد هو أساس صراط الله الذى لايقيده زمن ، ولايحده مكان ، ومن أجل ذلك كان الأساس فى دعوة جميع الأنبياء والرسل :

يقول تعالى :

﴿ وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله

غيره ﴾ ويقول سبحانه :

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾.

ويعمم الله سبحانه وتعالى الحكم تعميماً ، ويجعله شاملا شمولا مطلقاً فيقول :

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ .

وهكذا كان التوحيد دعوة جميع الأنبياء والرسل .

والتوحيد الذى هو جوهر الرسالات إنما هو التوحيد الشامل العام ..

أى توحيد الله سبحانه بالإلهية ، وتوحيده بالربوبية ، وتوحيده بالسيطرة والهيمنة على كل صغيرة وكبيرة :

﴿ قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شىء قدير ﴾ .

ولايتأتى – والله مالك الملك – أن يسأل الإنسان غير الله ، أو أن يستعين بغيره ، وشعار المؤمنين الصادقين هو :

﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

إن شعارهم :

«إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن

الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك » ..

ويوضح هذا الإمام القشيرى فيقول :

إن الله تعالى مغن عباده بعضهم عن بعض ، لأن الحوائج – على الحقيقة – لاتكون إلا إليه ، فالمخلوق لايملك لنفسه نفعاً ولاضراً .. فكيف يملك ذلك لغيره ؟ ..

ولهذا قيل :

« تعلق الخلق بالخلق تعلق المسجون بالمسجون » ، وقيل :

« من رفع حاجته إلى الله تعالى ، ثم رجع عن حاجته إليه إلى غيره ، ابتلاه بالحاجة إلى الخلق ثم نزع رحمته من قلوبهم » ..

ومعنى التوحيد الحقيقى فى النهاية :

أن يلقى الإنسان بقياده فى استسلام مطلق إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن يخلص له وجهه إخلاصاً لارياء فيه .

ولقد سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال : « إنه الإخلاص » ..

ويقول سبحانه :

﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ .

« فكل ماليس خالصاً لوجهه لايثيب عليه ، ولايتقبله » ..

ولقد بين رسول الله ﷺ أن الرياء على اختلاف صوره شرك يحبط العمل .

يقول رسول الله ﷺ - فيما رواه الإمام أحمد :

«إن أخوف ما أخاف على أمتى الشرك الأصغر» . قالوا : وما الشرك الأصغر يارسول الله ؟ قال : الرياء .

يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم :

« اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ».

والرياء مجموعة من الآثام تنزل بالإنسان إلى مستوى من الأخلاق غير كريم ، ولقد حذر رسول الله ﷺ منه فى مختلف صوره ، من ذلك ماقاله ﷺ - فيما رواه البيهقى :

« من صام يرائى فقد أشرك ، ومن صلى يرائى فقد أشرك ، ومن تصدق يرائى فقد أشرك » ..

وبعد :

فإن كل عمل لايراد به وجه الله شرك ، يتنافى مع التوحيد ، لايتقبله الله ، ولايثيب عليه .

والفيصل فى هذا هو ماحدث به رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف الذى يعتبر مبدأ هاماً من مبادئ الإسلام :

روى البخارى رضى الله عنه بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ مانوى ، فمن كانت هجرته

إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ماهاجر إليه» .

وكفى بربك هادياً ونصيراً

يقول الله تعالى :

﴿ أليس الله بكاف عبده ، ويخوفونك بالذين من دونه ، ومن يضلل الله فماله من هاد . ومن يهد الله فماله من مضل ، أليس الله بعزيز ذى انتقام ﴾

إن الذى لاشك فيه ولا مراء هو : أن الله سبحانه كاف عبده الذى حقق العبودية له سبحانه ، والقرآن الكريم يستفيض فى بيان قوانين الله سبحانه وتعالى فى كفاية الله لعبده الذى استجاب له سبحانه فى أمور الدنيا بالمشى فى مناكبها ، والسعى فيها ، والأكل من رزق الله ، وبالانتشار فى الأرض ، وابتغاء فضل الله ، وبتسخير ماسخر الله للإنسان من عوالمه الكثيرة .

ويستفيض القرآن مع ذلك – بل من قبل ذلك ومن بعده – فى بيان قوانين الله لكفاية عبده الذى حقق العبودية فى صلته به سبحانه .

ومامن شك فى أن الصلة بالله على بساط العبودية ، هى أساس كل خير ، ومصدر كل توفيق ، وهى مناط السعادة فى الدنيا والآخرة .

وإن الخطأ البين الذى يقع بعض الناس فيه عادة إنما هو ظنهم أن ثمار العبودية الصادقة إنما تتعلق بالآخرة فحسب .. ومامن شك فى أن العبودية الصادقة ثرية بالخير فى الآخرة وثمارها شهية فيها ، وما من ريب فى أن الآخرة خير وأبقى ، وفى أن أعظم الخيرات – على الإطلاق – هى أن يقابل الإنسان ربه وهو عنه راض :

﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾.

﴿يوم لاينفع مال ولابنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم﴾

﴿يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه﴾.

ومع ذلك :

فإن ثمار العبودية الصادقة تتحقق فى الدنيا قبل الآخرة .

وتبدأ العبودية الصادقة بالاستغفار .. فإذا ما أكثر الإنسان من الإستغفار كانت سعة الرزق .. يقول سبحانه على لسان نبيه نوح عليه السلام :

﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾.

وإذا قرن الاستغفار بالتوبة زاد ذلك فى قوة الإنسان بل الجماعة – فضلا عن زيادته فى الرزق – يقول الله تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام :

﴿وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ .

على أن فى كثرة الاستغفار أماناً من العذاب فى هذه الحياة الدنيا .. يقول تعالى :

﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ .

وإذا ما أكثر الإنسان من التوبة – والتوبة تضرع إلى الله وإنابة إليه – فإن الله يحبه .

﴿ إن الله يحب التوابين ﴾ .

فإذا التزم الإنسان التقوى فإن الله سبحانه وتعالى يجعل له من كل ضيق فرجاً ، ومن كل هم مخرجاً ، ويرزقه من حيث لايحتسب .

ويقول سبحانه :

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ﴾ .

فإذا ماتوكل الإنسان على الله التوكل الصادق فإن الله حسبه .. يقول سبحانه :

﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ .

فإذا ما كان الله حسبه فإن كل من دون الله لاقيمة له .. وكل تخويف بغيره لاوزن له .

فالله هو وحده صاحب التصريف .. فمن يضلله فما له من هاد ، ومن يهده فما له من مضل .. وذلك أنه سبحانه عزيز لاغالب له ، ولامنافس ، ولامنازع .. وهو يمهل ولايهمل الذين يفسدون فى

الأرض ، ويجاهرون الله بالمعصية :

إنه سبحانه ينتقم منهم :

﴿ أليس الله بعزيز ذى انتقام ﴾ .

وبعد : فيقول الله تعالى :

﴿ قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شىء قدير ﴾» .

الفصل الثاني

فَاذكروني أذكُرْكم

فاذكرونى أذكركم

أخرج الإمام البخارى – رضى الله عنه – من حديث قتادة ، عن رسول الله ﷺ ، فيما يرويه عن ربه – قال : قال الله عز وجل :

«ياابن آدم ، إن ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى ، وإن ذكرتنى فى ملإ ذكرتك فى ملإ خير منه ، وإن دنوت منى شبراً دنوت منك ذراعاً ، وإن دنوت منى ذراعاً دنوت منك باعاً ، وإن أتيتنى تمشى أتيتك هرولة» .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه – فيما رواه الإمام أحمد وغير واحد من أصحاب الصحاح – قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى :

«أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منهم ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة» .

وزاد الإمام أحمد فى آخره :

قال قتادة : والله أسرع بالمغفرة .

وروى الطبرى بإسناد حسن ، أن رسول الله ﷺ قال : قال الله جل ذكره :

لايذكرنى عبد فى نفسه إلا ذكرته فى ملإ من ملائكتى ، ولايذكرنى فى ملإ إلا ذكرته فى الملإ الأعلى ..

فاذكرونى أذكركم :

معنى «اذكرونى» : تذللوا لجلالى .

أذكركم : أكشف الحجب عنكم ، وأفيض عليكم رحمتى وإحسانى ، وأحبكم ، وأرفع ذكركم فى الملإ الأعلى ..

لما فى الحديث :

«من تقرب إلىّ شبراً تقربت منه ذراعاً»[1].

وفى الحديث أيضاً :

«إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل فقال له : ياجبريل : إنى أحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل .. ثم ينادى فى السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض»[2].

وهذا من جملة الثمرات المعجلة ..

وأما المؤجلة فرؤية وجه ربه الكريم ، ورفع الدرجات ، وغير ذلك [3]

---

(١) البخارى .

(٢) مسلم عن أبى هريرة .

(٣) حاشية الصاوى على الجلالين .

فاذكرونى أذكركم :

ولقد حث الله سبحانه وتعالى على الذكر . قال سبحانه :

﴿واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولاتكن من الغافلين﴾ .

وحث الله سبحانه وتعالى على الذكر الكثير فقال آمراً :

﴿يأيها الذين آمنو اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ .

ووصف الله سبحانه وتعالى أصحاب العقول المستنيرة إلتى رضى عنها لأنها اهتدت بهديه فقال سبحانه مادحاً إياهم :

﴿إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب .

الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار .

ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ومالظالمين من أنصار ، ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار .

ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد﴾ .

ويصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين الصادقين بصفات يرضى عنها

اختتمها بقوله :

﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾

والأمر بالذكر كثير فى القرآن الكريم ، من ذلك قوله تعالى :

﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية :

«أى بالليل والنهار ، فى البر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، والمرض والصحة ، والسر والعلانية » ..

ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ولذكر الله أكبر﴾

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الكلمة القرآنية الكريمة :

إن لها وجهين :

أحدهما : أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه

والآخر : أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه .

والواقع :

أن الإنسان إذا تدبر الآيات القرآنية الواردة فى الذكر فإنه يجدها تستغرق الأوقات والحالات .

فأينما كان الإنسان وكيفما كان عليه دائماً أن يكون ذاكراً لله سبحانه وتعالى .

ولايشغل ذكر الله سبحانه وتعالى الإنسان عن عمله . ولقد كان الكثير من كبار الصحابة من كبار التجار ولم يمنعهم ذلك عن أن يكونوا من كبار الذاكرين .

ولقد كان الكثير من كبار الذاكرين أصحاب حرف ومهن .. _ لقد كان منهم : «الخوَّاص» ، «والخرَّاز» ، و «الصَّبَّاغ» «والحصرى» ، و «الصيرفى» ، «والقفَّال» ، «والحصَّاد» ، «والحراس» ، و «الفراء» ، و «المقرئ» . فضلا عن اشتغالهم الذى لايفتّر بتعليم المسلمين وهدايتهم .

فاذكرونى أذكركم :

فضل الذكر :

ولقد تحدث رسول الله ﷺ كثيراً عن الذكر حاثًّا ومادحاً وآمراً :

عن أبى هريرة رضى الله عنه – فيما رواه الإمام مسلم – قال :

كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة ، فمر على جبل يقال له «جمدان» فقال :

سيروا : هذا جمدان سبق المفردون

قالوا : وما المفردون يارسول الله ؟

قال : الذاكرون الله كثيراً .

وذكر هذا الحديث الترمذى وفيه :

يارسول الله : وما المفردون ؟

قال : المستهترون بذكر الله ، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون الله يوم القيامة خفافاً .

وكلمة « المفردون » – كما يذكر صاحب كتاب الترغيب والترهيب – بفتح الفاء وكسر الراء .

« والمستهترون » – بفتح التاءين – هم المولعون بالذكر ، المداومون عليه ، لايبالون ماقيل فيهم ، ولا مافعل بهم [1] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه – فيما رواه البخاري – قال : قال رسول الله ﷺ :

« مثل الذي يذكر الله ربه والذي لايذكر الله ، مثل الحي والميت »

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه – فيما رواه الحاكم بإسناد صحيح – أن رجلا قال :

يارسول الله : إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرني بشيء أتشبث به . قال :

« لايزال لسانك رطباً من ذكر الله » .

ويحدث الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه فيقول فيما رواه الطبراني وغيره :

---

(١) الترغيب والترهيب .

«إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت :
أى الأعمال أحب إلى الله ؟
قال :
«أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله» .

ومن أجمل الوصايا التى أوصى بها رسول الله ﷺ وأنفسها – ووصاياه صلوات الله وسلامه عليه كلها جميلة نفيسة – وصيته لأم أنس[1] ، حينما قالت له :
«يارسول الله .. أوصنى» ..
قال :
«اهجرى المعاصى ، فإنها أفضل الهجرة ، وحافظى على الفرائض فإنها أفضل الجهاد ، وأكثرى من ذكر الله ، فإنك لاتأتين بشىء أحب إليه من كثرة ذكره» .

وإن من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لاظل إلا ظله .
«رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله» .

وروى البيهقى فى الشعب من حديث عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل :
«من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» .
قال الإمام الصاوى ·

(١) قال الطبرانى : أم أنس هذه ليست أم أنس بن مالك .

« وينبغى للإنسان أن يذكر الله كثيراً .. لقوله تعالى :

﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً﴾

ولايلتفت لواش ولارقيب ، لقول السيد الحفنى ، خطاباً للعارف بالله تعالى أستاذنا الدردير :

يا مبتغى طرق أهـــل الله والتسليك
دع عنك أهل الهوى تسلم من التشكيك
إن « اذكرونى » لرد المعترض يكفيـك
فاجعل سلاف الجلالـة دائما فى فيك

فاذكرونى أذكركم

الاجتماع على الذكر :

روى الإمام مسلم ، رضى الله عنه ، عن معاوية رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال :

ما أجلسكم ؟

قالوا :

جلسنا نذكر الله ونحمده على ماهدانا للإسلام ومن به علينا

قال : آلله ماأجلسكم إلا ذلك ؟

قالوا : آلله ماأجلسنا إلا ذلك.

قال : أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه – فيما رواه الترمذى وحسنه – أن رسول الله ﷺ قال :

«إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » .. قالوا :

ومارياض الجنة ؟

قال : حلق الذكر .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق – يلتمسون أهل الذكر – فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا .

«هلموا إلى حاجتكم » فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا .

قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم . . . مايقول عبادى ؟

قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ، ويحمدونك ويمجدونك .

قال : فيقول : هل رأونى ؟

قال : فيقولون : لا والله يارب مارأوك .

قال : فيقول : كيف لورأونى ؟

قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً .

قال : فيقول : فما يسألونى ؟

قال : يقولون : يسألونك الجنة .

قال : فيقول : وهل رأوها ؟

قال : يقولون : لا والله يارب مارأوها .

قال : فيقول : فكيف بهم لو رأوها ؟

قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة.

قال : فمم يتعوذون ؟

قال : يقولون : يتعوذون من النار .

قال : فيقول : وهل رأوها ؟

قال : يقولون : لا والله مارأوها .

قال : فيقول : فكيف لورأوها ؟

قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة .

قال : فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم .

قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة .

قال : هم القوم لايشقى بهم جليسهم[1].

وفى رواية مسلم : فيقول :

«وله غفرت ، هم القوم لايشقى بهم جليسهم » .

---

(١) البخارى .

وعن أبي الدرداء ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة فى وجوههم النور على منابر اللؤلؤ ، تغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولاشهداء .

قال : فجثا أعرابى على ركبتيه فقال :

يارسول الله : صفهم لنا نعرفهم .

قال : هم المتحابون فى سبيل الله ، من قبائل شتّى ، وبلاد شتّى ، يجتمعون على ذكر الله يذكرون »[١] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال :

« مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل ، لايريدون بذلك إلا وجهه ، إلا ناداهم مناد من السماء ، أن قوموا مغفوراً لكم ، قد بدلت سيئاتكم حسنات »[٢] .

وعن أبي هريرة ، وأبي سعيد رضى الله عنهما ، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال :

« لايقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده »[٣] .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال :

قلت : يارسول الله ، ماغنيمة مجالس الذكر ؟

---

(١) رواه الطبرانى بإسناد حسن .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه .

قال : غنيمة مجالس الذكر الجنة[1].

ويقول الإمام النووى :

«اعلم أنه كما يستحب الذكر يستحب الجلوس فى حلق أهله». وقد تظاهرت الأدلة على ذلك ، وسترد فى مواضيعها إن شاء الله ، ويكفى فى ذلك حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ :

«إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»، قالوا : وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ . .

قال : «حلق الذكر» ، فإن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر ، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم» . .

روينا فى صحيح مسلم عن معاوية رضى الله عنه أنه قال :

«خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه» ،

فقال :

ما أجلسكم ؟

قالوا :

جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنَّ به علينا :

قال :

---

(١) رواه أحمد بإسناد حسن .

آلله . . . ما أجلسكم إلا ذاك ؟ أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة » . . .

وفى صحيح مسلم أيضا عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى : إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » . .

وقال الإمام الصاوى :

« وهل الأفضل الذكر مع الناس ، أو الذكر فى خلوة ؟ » . . .

والحق التفصيل : وهو :

إن كان الإنسان ينشط وحده ، ولم يكن مدعوًّا من الله لهداية الناس فالخلوة فى حقه أفضل ، وإلا فذكره مع الناس أفضل :

إما لينشط ، أو لتقتدى الناس به .

نسأل الله أن يجعلنا من أهل ذكره [1] .

فاذكرونى أذكركم :

أنواع الذكر :

ومن المعروف أن الذكر على ضربين :

ذكر اللسان .

---

(١) حاشية الصاوى ، جـ ١ ، ص ٦٣ .

وذكر القلب .

فذكر اللسان : به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب .

والتأثير لذكر القلب .

يقول الإمام القشيرى :

« فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه ، فهو الكامل فى وصفه فى حال سلوكه » .

ويقول الإمام الصاوى :

« ولا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه ، فربما ذكر مع غفلة يجر لذكر مع حضور ، لأنهم شبهوا الذكر بقدح الزناد ، فلا يترك الإنسان القدح لعدم إيقاده من أول مرة مثلا ، بل يكرر حتى يوقد ، فإذا ولع القلب نارت الأعضاء فلا يقدر الشيطان على وسوسته ، لقوله تعالى :

﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا﴾ [1] .

وخفت العبادة على الأعضاء ، فلا يكون على الشخص كلفة فيها . . . قال العارف :

إذا رفع الحجاب فلا ملاله　　　بتوفيق الإله ولا مشقه

ويكفى الذاكر من الشرف ، قول الله تعالى فى الحديث القدسى :

---

(١) الأعراف – آية : ٢٠١ .

«أنا جليس من ذكرنى» [1] وقوله تعالى :

﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [2] .

ويقول الإمام النووى :

الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان .

والأفضل منه ماكان بالقلب واللسان جميعاً ، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل ، ثم لا ينبغى أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء ، بل يذكر بهما جميعاً ويقصد وجه الله تعالى ، وقد قدمنا عن الفضيل رحمه الله :

«إن ترك العمل لأجل الناس رياء» .

ولو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس ، والاحتراز من تطرق ظنونهم الباطلة ، لا نسد عليه أكثر أبواب الخير ، وضيع على نفسه شيئاً عظيماً من مهمات الدين ، وليس هذا طريقة العارفين.

فاذكرونى أذكركم :

أوقات الذكر :

وليس للذكر وقت معين .

وذلك أن جميع الأوقات صالحة للذكر . يقول تعالى :

(١) الحاكم بمعناه ، بسند صحيح وروى أحمد وابن ماجه بسند صحيح ، أنا مع عبدى ما ذكرنى . . . إلخ .

(٢) حاشية الصاوى على الجلالين . جـ ١ ص ٦٣ .

﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة (يخلف كل واحد الآخر) لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾ .

لقد جعل الله سبحانه جميع آناء الليل والنهار صالحة للذكر :

يقول ابن عباس فى قوله تعالى :

﴿ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ﴾ .

يقول : أى بالليل والنهار ، فى البر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، والمرض والصحة ، والسر والعلانية .

والآيات فى القرآن كثيرة تبين أن ذكر الله مستحب فى جميع الأمكنة والأزمنة .

ويقول صاحب الرسالة القشيرية فى ذلك :

«ومن خصائص الذكر : أنه غير مؤقت ، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله ، إما فرضاً ، وإما ندباً ، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز فى بعض الأوقات . والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات» .

قال الله تعالى :

﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ، فقنا عذاب النار﴾ .

كل هذا أدى بالإمام القشيرى إلى أن يقول معبراً عن الجو الصادق :

«والذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة فى هذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر» . .

الفصل الثالث

صيغ الذكر

الاستغفار

ويبتدئ الذكر بالاستغفار .

وعن الاستغفار يقول رسول الله ﷺ فيما رواه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما :

« من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » [1] .

ومن صيغ الاستغفار :

﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾[2] .

ومنها :

﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾ .

ومنها :

« اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفرلى مغفرة من عندك ، وارحمنى ، إنك أنت الغفور الرحيم » . . . ويروى علقمة ويروى الأسود ، عن عبد الله

(١) رواه أبو داود والنسائى وإبن ماجه والحاكم والبيهقى .

(٢) الأعراف - آية ٢٣ .

بن مسعود رضى الله عنه ، أنه قال :

« فى كتاب الله عز وجل آيتان ، ما أذنب عبد ذنباً فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له :

قوله تعالى :

﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم ، ذكروا الله ، فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ .

وقوله عز وجل :

﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾ .

ولقد قال ﷺ فى شأن الاستغفار الخالص :

« من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » .

وهذا الحديث الشريف يسير فى انسجام مع قوله تعالى :

﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾ .

ومن دعاء رسول الله ﷺ الجميل :

« اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أساءوا استغفروا » .

وسيد الاستغفار هو – كما أخبر الصادق المصدوق – صلوات الله وسلامه عليه :

«اللهم أنت ربى ، لا إله إلا أنت ، خلقتنى ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبى ، فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» .

ويروى الإمام الغزالى عن بعض العلماء أنه قال :

«العبد بين ذنب ونعمة ، لا يصلحها إلا الاستغفار والحمد» .

ويروى عن قتادة رحمه الله قوله :

«القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم ، أما داؤكم فالذنوب ، وأما دواؤكم فالاستغفار» .

القرآن

ومن الذكر قراءة القرآن :

عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، فيما رواه الترمذى رحمه الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ، «آلم» حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف وميم حرف» .

وفيما رواه الإمام مسلم بسنده ، عن أبى هريرة رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال :

«ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت اللهِ ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتّهم الرحمة ، وحفتّهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده» .

ولقد وردت أحاديث صحيحة وحسنة فى فضل سور وآيات معينة من القرآن الكريم . . نذكر بعضها ونحن نعلم أن أحاديث كثيرة قد ذكرت فى فضل سور القرآن وليست صحيحة ، ومن أجل ذلك تحرينا هنا الأحاديث التى رويت فى كتب الصحاح ، أو بأسانيد صحيحة أو حسنة .

* * *

الفاتحة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، خرج على أبىّ ابن كعب فقال : «يا أبىّ» ، وهو يُصلى ، فالتفت أبىّ فلم يجبه ، وصلى أبى فخفف ، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال :

«السلام عليك يا رسول الله» ، فقال رسول الله ﷺ :

«وعليك السلام ، ما منعك يا أبى أن تجيبنى إذ دعوتك ؟» .

فقال : يا رسول الله ، إنى كنت فى الصلاة .

قال : فلم تجد فيما أوحى الله إلىّ أن : ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ .

قال : بلى . . ولا أعود إن شاء الله . . .

قال : أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل فى التوراة ، ولا فى الإنجيل ، ولا فى الزبور ، ولا فى الفرقان مثلها ؟

قال : نعم : يا رسول الله .

فقال رسول الله ﷺ : كيف تقرأ فى الصلاة ؟

قال : نقرأ أم القرآن .

فقال رسول الله ﷺ :

« والذى نفسى بيده ، ما أنزل الله فى التوراة ، ولا فى الإنجيل ، ولا فى الزبور ، ولا فى الفرقان مثلها ، وإنها سبع من المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيته [1] » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى :

« قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل » .

وفى رواية : « فنصفها لى ونصفها لعبدى » . .

فإذا قال العبد : « الحمد لله رب العالمين » قال الله : حمدنى

(١) رواه الترمذى . وقال : حديث حسن صحيح . ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم باختصار عن أبى هريرة عن أبى ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

عبدى ، فإذا قال : «الرحمن الرحيم» قال : أثنى على عبدى ، فإذا قال : «مالك يوم الدين» قال : مجدنى عبدى ، فإذا قال : «إياك نَعْبُدُ وإياك نستعين» قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل .

فإذا قال : «اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل[1] .

الفاتحة وخواتيم سورة البقرة :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

«بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبى ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك ، فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلم وقال :

«أبشر بنورين أوتيتهما ، لم يؤتهما نبى قبلك :

فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»[2] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم والنسائى والحاكم ، وقال صحيح على شرطها ، و «النقيض» بالمعجمة : هو الصوت .

ومما ورد فى فضل الفاتحة ما رواه البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

كنا فى مسير لنا ، فنزلنا ، فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحى سليم ، وإن نفرنا غيب ، فهل منكم راق ، فقام معها رجل ماكنا نأبنه [1] برقية فرقاه فبرأ ، فأمر له بثلاثين شاة ، وسقانا لبناً ، فلما رجع قلنا له : أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى ؟ ،

قال : لا . . ما رقيت إلا بأم الكتاب .

قلنا : لا تحدثوا شيئاً حتى نأتى أو نسأل النبى ﷺ ، فلما قدمنا المدينة . . ذكرناه للنبى ﷺ فقال :

«وماكان يدريه أنها رقية ، أقسموا واضربوا لى بسهم [2] » .

وروى مسلم فى صحيحه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال :

«من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج [3] ثلاثا غير تمام» .

سورتا البقرة وآل عمران :

عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «اقرءوا القرآن ، فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ،

---

(١) نذكره .
(٢) البخارى .
(٣) خداج : ناقصة .

اقرءوا الزهراوين (البقرة وسورة آل عمران) فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان (أو غيايتان) أو كأنهما فرقان من طير صواف ، تحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة »[1].

الغيايتان : مثنى غياية : وهى كل شىء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة .

قال معاوية بن سلام : بلغنى أن البطلة السحرة . .

وعن أسيد بن حفيد رضى الله عنه أنه قال :

« يا رسول الله : بينما أنا أقرأ الليلة سورة البقرة إذ سمعت وجبة من خلفى . فظننت أن فرسى انطلق » ، فقال رسول الله ﷺ :

« اقرأ أبا عتيك » فالتفت . فإذا مثل المصباح مدلى بين السماء والأرض ، ورسول الله ﷺ يقول :

« اقرأ أبا عتيك » فقال : يا رسول الله . . . فما استطعت أن أمضى . . فقال رسول الله ﷺ :

« تلك الملائكة تنزلت لقراءة سورة البقرة ، أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب[2] » .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه ، ورواه البخارى ، ومسلم ، من حديث أبى سعيد بنحوه .

وروى البيهقى فى شعب الإيمان – عن الصلصال – بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال :

« من قرأ سورة البقرة توج بتاج فى الجنة [1] » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم ذو عدد . فاستقرأهم ، فقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن ، فأتى على رجل من أحدثهم سنًّا فقال :

« ما معك يافلان ؟ » .

قال : معى كذا وكذا وسورة البقرة . .

قال : أمعك سورة البقرة ؟

قال : نعم .

قال : اذهب فأنت أميرهم .

فقال رجل من أشرافهم :

« والله يارسول الله ، ما منعنى أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية ألا أقوم بها » .

فقال رسول الله ﷺ :

« تعلموا القرآن فاقرءوه وأقرئوا . . فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشوٌ مسكاً ، يفوح بريحه كل مكان ، ومثل من

(١) الجامع الصغير للسيوطى .

تعلمه فيرقد وهو فى جوفه كمثل جراب وكىْ على مسك »[1]

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال :

« لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، وإن البيت الذى تقرأ فيه البقرة لا يدخله شيطان »[2] .

آية الكرسى وأواخر البقرة :

عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت[3] » .

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال :

«يا أبا المنذر – أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم؟» .

قال : قلت : الله ورسوله أعلم . .

قال : يا أبا المنذر . . أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟

قال : قلت : « الله لا إله إلا هو الحى القيوم » .

قال : فضرب فى صدرى وقال :

«ليهنك العلم أبا المنذر[4] » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

---

(١) رواه الترمذى وقال حسن .

(٢) رواه الترمذى بسند صحيح .

(٣) رواه النسائى وابن حبان بسند صحيح .

(٤) رواه مسلم وأبو داود .

وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، فأتانى آت ، فجعل يحثو[1] من الطعام ، فأخذته وقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ .

قال : إنى محتاج وعلى عيال ولى حاجة شديدة .

قال : فخليت عنه ، فأصبحت ، فقال النبى ﷺ :

« يا أبا هريرة – ما فعلَ أسيرك البارحة ؟ » .

قال : قلت : يارسول الله ، شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته ، فخليت سبيله ، قال : أما إنه قد كذبك وسيعود . . فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ : إنه سيعود . . فرصدته ، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ » .

قال : دعنى فإنى محتاج وعلى عيال لا أعود – فرحمته ، فخليت سبيله ، فأصبحت فقال لى رسول الله ﷺ :

يا أبا هريرة : ما فعل أسيرك ؟

قلت : يارسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله ، قال : أما إنه قد كذبك وسيعود . . فرصدته الثالثة ، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، وهذا آخر ثلاث مرات ، إنك تزعم لا تعود ثم تعود ،

قال : دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها .

---

(١) يأخذ بكفه .

قلت : ما هي ؟

قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ حتى تختم الآية . . فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله ﷺ :

« ما فعل أسيرك البارحة ؟

قلت : يارسول الله - زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله ، قال : ما هي ؟

قلت : قال لي : إذا أويت إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - ، فقال النبي ﷺ : أما إنه قد صدقك وهو كذوب . . . تعلم من تخاطب مذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ . .

قال : لا

قال : ذاك شيطان[1]

وروي مثله عن أبي أيوب الأنصاري مع الغول . .[2]

وعن أبي مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

---

(١) البخاري .

(٢) البخاري والترمذي .

« الآيتان من آخر سورة البقرة ، من قرأهما فى ليلة كفتاه »[1] .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ قال :

« إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفى عام . أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، ولا يقرآن فى دار ثلاث ليال فيقربها شيطان »[2] .

وروى مسلم فى صحيحه – عن عبد الله[3] – قال :

لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة – إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض ، فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها – قال :

﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾

قال : فراش من ذهب . . قال : فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثا :

« أعطى الصلوات الخمس ، وأعطى خواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات » .

وعن عقبة بن عامر الجهنى قال : قال رسول الله ﷺ :

« اقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة ، فإنى أعطيتهما من كنز تحت العرش »[4] .

---

(١) رواه الأربعة .

(٢) الترمذى بسند حسن .

(٣) أى : ابن مسعود .

(٤) رواه أحمد بإسناد حسن .

آل عمران :

عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله ﷺ :

« اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين :

﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ وفاتحة آل عمران : ﴿ آلم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ »[1] .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال . . قال رسول الله ﷺ :

« اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب فى ثلاث سور من القرآن : فى البقرة وآل عمران ، وطه »[2].

قال هشام بن عمار خطيب دمشق :

أما البقرة ﴿ فالله لا إله إلّا هو الحى القيوم ﴾ .

وفى آل عمران ﴿ آلم ، الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ .

وفى طه ﴿ وعنت الوجوه للحى القيوم ﴾[3] .

العتاق الأول :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال فى بنى إسرائيل والكهف ومريم

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه وسنده فى صحيح السيوطى .

(٢) ابن ماجه والطبرانى والحاكم بسند صحيح والمراد به (الله لا إله إلا هو) أو « الحى القيوم » .

(٣) ابن كثير فى تفسير (آية الكرسى) .

وطه والأنبياء : إنهن من العتاق الأول ، وهن من تلادى[1] .

وكان ﷺ «لا ينام حتى يقرأ بنى إسرائيل والزمر»[2] .

سورة الكهف :

عن البراء قال :

كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين ، فتغشته سحابة ، فجعلت تدنو وتدنو ، وجعل فرسه ينفر ، فلما أصبح أتى النبى ﷺ فذكر ذلك له ، فقال :

تلك السكينة تنزلت للقرآن . . .[3] .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال »[4] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« من قرأ الكهف كما أنزلت ، كانت له نوراً يوم القيامة ، من مقامه إلى مكة ، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه »[5] .

---

(١) البخارى .

(٢) رواه أحمد والترمذى والحاكم عن عائشة بسند صحيح «سيوطى» .

(٣) البخارى .

(٤) رواه مسلم وأبو داود . (٥) الحاكم وصححه .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال :
« من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين » .

وعن أبى الدرداء عن الرسول ﷺ قال :
« من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال »[1] .

وعن أبى الدرداء عن الرسول ﷺ قال :
« من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال »[2] .

وفى رواية أن الرسول ﷺ قال : « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين العتيق »[3] .

سورة يس :

عن معقل بن يسار – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال :
« قلب القرآن يس ، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر

---

(١) رواه أحمد ومسلم والنسائى .
(٢) الترمذى بسند صحيح .
(٣) البيهقى بسند حسن .

له ، اقرءوها على موتاكم »[1].

سورة الدخان :

عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« من قرأ حم الدخان فى ليلة جمعة أو يوم جمعة بنى الله له بيتاً فى الجنة »[2].

سورة الفتح :

عن زيد بن أسلم عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ كان يسير فى بعض أسفاره ، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً ، فسأله عمر عن شىء ، فلم يجبه رسول الله ﷺ ، ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر :

ثكلتك أمك ، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، كل ذلك لا يجيبك . قال عمر : فحركت بعيرى حتى كنت أمام الناس ، وخشيت أن ينزل فىّ قرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخاً يخرج . . قال : فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فىّ قرآن . . قال :

---

(١) أحمد وأبو داود والنسائى واللفظ له وابن ماجه والحاكم وصححه .

(٢) الطبرانى بسند حسن (سيوطى) .

فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه ، فقال :

« لقد أنزلت على الليلة سورة لهى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ : ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾[1] .

عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ :

« كان لا ينام حتّى يقرأ : ألم ، تنزيل السجدة ، وتبارك الذى بيده الملك »[2] .

سورة الملك :

عن أبى هريرة رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال :

« إن سورة فى القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل ، حتّى غفر له ، وهى :

﴿تبارك الذى بيده الملك﴾ »[3] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباءه على قبر وهو لا يعلم ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة « تبارك الذى بيده الملك » حتّى ختمها ، فأتى النبى ﷺ فقال :

يارسول الله ، ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا فيه

---

(١) البخارى .

(٢) أحمد والترمذى والنسائى والحاكم بسند صحيح .

(٣) رواه أحمد وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم بسند صحيح .

إنسان يقرأ تبارك حتّى ختمها . فقال رسول الله ﷺ :

« هى المانعة ، هى المنجية تنجيه من عذاب القبر »[1] .

سورة التكوير وسورة الانفطار ، وسورة الانشقاق :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين فليقرأ :

« إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت »[2] .

سورة الزلزلة ، وسورة الكافرون ، وسورة الإخلاص ، وسورة النصر :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« إذا زلزلت تعدل نصف القرآن ، وقل يأيها الكافرون ، تعدل ربع القرآن ، وقل هو الله أحد ، تعدل ثلث القرآن »[3] .

وعن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه :

« هل تزوجت يا فلان ؟ قال : لا والله يارسول الله . . ولا عندى ماأتزوج به . .

---

(١) الترمذى بسند حسن .

(٢) رواه الترمذى وغيره .

(٣) الترمذى والحاكم والبيهق فى الشعب بسند صحيح (سيوطى) .

قال : « أليس معك قل هو الله أحد ؟ » .

قال : بلى .

قال : « ثلث القرآن » . قال : « أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح ؟ » .

قال : بلى .

قال : « ربع القرآن » . . قال : « أليس معك قل يا أيها الكافرون ؟ » .

قال : بلى .

قال : « ربع القرآن » . . قال : « أليس معك إذا زلزلت الأرض ؟

قال : بلى .

قال : « ربع القرآن » . . . تزوج . . تزوج »[1] .

سورة الإخلاص :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« احشدوا ، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن . فحشد من حشد ، ثم خرج النبي ﷺ فقرأ : « قل هو الله أحد » ثم دخل . . فقال بعضنا لبعض : إنا نرى هذا خبراً جاءه من السماء ، فذلك الذي أدخله . ثم خرج نبي الله ﷺ فقال : إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن . .

(١) رواه الترمذي عن مسلمة بن ردان عن أنس وقال : هذا حديث حسن .

ألا إنها تعدل ثلث القرآن »[1].

وعن عائشة رضى الله عنها ، أن النبى ﷺ ، بعث رجلا على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بـ « قل هو الله أحد . . » فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال :

سلوه لأى شىء يصنع ذلك ؟ فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبى ﷺ :

« أخبروه أن الله يحبه »[2].

ورواه البخارى أيضاً والترمذى عن أنس أطول منه ، وقال فى آخره :

« فلما أتاهم النبى ﷺ ، أخبروه الخبر » ، فقال :

« يافلان . . ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ؟ »

وما يحملك على لزوم هذه السورة فى كل ركعة ؟

فقال : إنى أحبها ، فقال : « حبك إياها أدخلك الجنة » .

المعوذتان :

عن عقبة بن عامر – رضى الله تعالى عنه – قال :

قال رسول الله ﷺ :

(١) رواه مسلم ، والترمذى .

(٢) رواه البخارى ومسلم . والنسائى .

«ألم تر آيات أنزلت الليلة ، لم ير مثلهن ،
قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس »[1].

وعن عبد الله بن حبيب رضى الله عنه قال :
قال لى رسول الله ﷺ :
«اقرأ «قل هو الله أحد» و «المعوذتين» حين تمسى ، وحين تصبح ،
ثلاث مرات .. تكفك من كل شيء» ...[2] .

* * *

وكما بدأنا الحديث عن القرآن بذكر فضله ، فإنا نختمه أيضاً بأحاديث فى فضله :

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه – فيما رواه الشيخان – عن النبى ﷺ قال : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الرب تبارك وتعالى :

«من شغله القرآن عن مسألتى ، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام ، كفضل الله على خلقه»[3].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :
«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه أبو داود والترمذى وقال : حسن صحيح .
(٣) رواه الترمذى .

فيه – وهو عليه شاق – له أجران » .

وفى رواية :

« والذى يقرؤه وهو يشتد عليه له أجران »[1].

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« يجىء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول : يارب حلة . فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يارب زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يارب ارض عنه ، فيرضى عنه ، فيقال له :

اقرأ وارق ، ويزداد بكل آية حسنة » [2]

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال :

« من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل ، وفى جوفه كلام الله » [3].

وعن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس والده يوم القيامة تاجاً من نور ، ضوءه مثل الشمس ، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا ، فيقولان : بم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن »[4] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

(٢) رواه الترمذى وحسنه . وابن خزيمة . والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٣) الحاكم ، وقال صحيح الإسناد .

(٤) الحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

وبعد :

فيقول الله تعالى :

﴿ يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ، وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ (١).

ويقول تعالى :

﴿ أقم الصلاة لِدلُوك الشمس إلى غسق الليل ، وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ، ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ، وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ، وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً ، وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ (٢) .

ويقول تعالى :

﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ (٣) .

---

(١) سورة يونس ، آية : ٥٧ .

(٢) سورة الإسراء ، الآيات من : ٧٨ – ٨٢ .

(٣) سورة الحشر ، آية : ٢١ .

وتأمل فى قوله تعالى :

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ، أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء ، إنه عَلِىٌّ حكيم ﴾ (١)

إنه سبحانه يصف نفسه بهذين الوصفين الجليلين : علىّ ، حكيم ، هذان الوصفان الجليلان يصف الله سبحانه بهما القرآن الكريم فيقول :

﴿ حم والكتاب المبين .

إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون .

وإنه فى أم الكتاب لدينا لَعَلِىٌّ حكيم ﴾

وأما بعد :

فقد حاول بعض السذج - كأبى عصمة ، نوح بن أبى مريم - أن يرغب الناس فى القرآن ، فوضع أحاديث عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة . . فقيل له فى ذلك .

فقال : إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ، ومغازى ابن إسحاق ، فوضعت هذا الحديث حِسبة » (٢) .

وهى سذاجة - لأنه يظن أن كل سورة فى القرآن تحتاج إلى نص خاص للحث على قراءتها وبيان فضلها .

إن آيات كثيرة تمجد القرآن وتحث على القرآن ، وترشد إلى هداية

---

(١) سورة الشورى ، آية : ٥١ .

(٢) تدريب الراوى للسيوطى .

القرآن ككل ، وتدعو إلى تدبره . .

قال تعالى :

﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أُولوا الألباب﴾ .

وقال :

﴿ يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ .

وقال :

﴿ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ .

وقال :

﴿ أفلا يتدبرون القرآن . ولو كان من عند غير الله ، لوجدوا فيه اختلافا كثيراً﴾ .

ولقد حث الله على تلاوته فقال :

﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل . وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ .

وقال :

﴿ إن الذين يتلون كتاب الله ، وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية ، يرجون تجارةً لن تبور . ليوفيهم أُجورهم ويزيدهم من فضله . إنه غفور شكور . والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق

مصدقاً لما بين يديه ﴾ .

وقال :

﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ .

ووردت أحاديث كثيرة تذكر فضل القرآن ككل ، وتدعو إلى تلاوته ، والإكثار منها ، وتذكر آداب التلاوة ، والزمن الذى ينبغى أن تتم فيه :

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« لا حسد إلا فى اثنتين : رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال : ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان ، فعملت مثل ما يعمل .

ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه فى الحق ، فقال رجل : ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان ، فعملت مثل ما يعمل » .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه : أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله : — جئت لأهب لك نفسى ، فنظر إليها رسول الله ﷺ ، فصعد النظر إليها وصوبه[1] ثم طأطأ رأسه ، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست ، فقام رجل من أصحابه فقال : يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها ، فقال : هل عندك من شيء ؟ فقال : لا والله يا رسول الله . قال : اذهب إلى أهلك فانظر هل

(١) أى : رفعه وخفضه .

تجد شيئاً ؟ . فذهب ثم رجع فقال : لا والله يا رسول الله ، ما وجدت شيئاً . قال : انظر ولو خاتماً من حديد ، فذهب ، ثم رجع فقال : لا والله يا رسول الله ، ولا خاتماً من حديد ، ولكن هذا إزارى . . قال سهل : ماله رداء فلها نصفه . فقال رسول الله ﷺ : ما تصنع بإزارك ، إن لبسته لم يكن عليها منه شىء ، وإن لبسته لم يكن عليك منه شىء . فجلس الرجل حتى طال مجلسه ، ثم قام ، فرآه رسول الله ﷺ مولياً ، فأمر به فدعى ، فلما جاء قال : ماذا معك من القرآن ؟ قال : معى سورة كذا ، وسورة كذا ، عدها . قال : أتقرؤهن عن ظهر قلبك ؟ قال : نعم . قال : «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن» [1]

وعن عبد الله بن مغفل - رضى الله عنه - قال :

« رأيت النبى ﷺ يقرأ ، وهو على ناقته - أو جمله - وهى تسير به ، وهو يقرأ سورة الفتح - أو من سورة الفتح - قراءة لينة ، يقرأ وهو يرجع » [2] .

وعن قتادة قال :

سئل أنس : كيف كانت قراءة النبى ﷺ ؟

فقال :

---

(١) البخارى .

(٢) البخارى .

«كانت مداً ، ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بـ (بسم الله) ويمد بـ (الرحمن)، ويمد بـ (الرحيم) »[1] .

ولقد كان ﷺ يحب القراءة الحسنة والصوت الحسن ويشجع على إجادة التلاوة :

لقد قال لأبي موسى الأشعرى رضى الله عنه :

« يا أبا موسى : لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود »[2].

وقال لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

« اقرأ علىّ . . فقال : يا رسول الله . . أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : نعم – فقرأ عبد الله سورة النساء حتّى أتى إلى هذه الآية :

﴿ فكيف إذا جئنا من كل أُمة بشهيدٍ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾[3] .

فقال ﷺ : حسبك الآن . . فالتفت إليه عبد الله . . فإذا عيناه تذرفان[4] .

ولقد شغفت الصحابة بالقرآن واستعذبوه وأقبلوا فى نهم على قراءته .

لقد كان عبد الله بن عمرو يختم القرآن كل ليلة ، فقال له الرسول ﷺ : اقرأ القرآن فى كل شهر . . فقال : إنى أطيق أكثر من ذلك . فمازال حتّى قال له الرسول ﷺ :

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) البخارى .

« فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك »[1].

ولقد حث الرسول ﷺ على تعلمه فقال :

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وفى رواية :

« إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه »[2] . .

وكان يشجع الصبيان على تعلمه . وكان تعلمه مبعث فخر واعتزاز حتّى إن ابن عباس قال :

« توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين ، وقد قرأت المحكم » وفى رواية عن سعيد بن جبير : فقلت : وما المحكم ؟ قال : المفصل »[3] .

ولقد حذر الرسول ﷺ من نسيان القرآن وأمر بتعاهده فقال :

« إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة . إن عاهد عليها أمسكها . وإن أطلقها ذهبت »[4].

وعن عبد الله قال : قال النبى ﷺ :

« بئس ما لأحدهم أن يقول : نسيت أن كيت وكيت . . بل نسى . واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً[5] من صدور الرجال من النعم »[6]

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) البخارى .

(٥) تخلصاً وذهاباً .

(٦) البخارى .

وقال ﷺ :

« تعاهدوا القرآن ، فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفصيًا من الإبل فى عقلها » . . [1]

ولعل كثرة الثواب فى تلاوته لسرعة تفصيه وفجاءة نسيانه واحتياجه الدائم إلى التعاهد ومداومة القراءة .

قال رسول الله ﷺ :

«اقرءوا القرآن ، فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » [2] .

وقال :

« يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما » [3] .

وقال :

« الذى يقرأ القرآن وهو ما هربه ، مع السفرة الكرام والبررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه [4] وهو عليه شاق له أجران » [5] .

وقال :

« إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ، ويضع به آخرين » [6] .

وقال :

---

(١) البخارى .

(٢ ، ٣) رواه مسلم .

(٤) يتردد فى قراءته لثقله عليه .

(٥) متفق عليه .

(٦) رواه مسلم .

« من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : آلم حرف ، ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف [1] » .

وقال :

« إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب »[2] .

وقال :

« يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »[3] .

نريد أن نقول :

إن توجيه الأنظار إلى آيات وسور مخصوصة إنما هو للتركيز عليها ، والمداومة على قراءتها ، للانتفاع بخاصيتها من ناحية . ومن ناحية أخرى : لسهولة حفظها بالنسبة إلى غيرها – خاصة لمن لا يحفظون القرآن – وحفظها طريق إلى تذوق حلاوة القرآن ومحاولة التزود منه قدر الطاقة .

ثم إن زيادة فضلها على غيرها من القرآن لا يؤثر فى فضل القرآن ، ولا ينقص من الحث عليه ، بل يزيده فضلاً وثناءً :

(١) رواه الترمذى . وقال حسن صحيح .
(٢) رواه الترمذى . وقال حسن صحيح .
(٣) أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح .

إنه كل متكامل ، وكله كريم وعظيم ونافع .

إنه كنز ثمين ، ولكن بعضه أثمن وأنفس .

فلا حاجة لاختلاق أخبار ولو بقصد صحيح فذلك كذب على رسول الله ﷺ وهو القائل :

« من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

وتخصيص بعضه بهذا التركيز مقصود لحكمة هامة بعضها ما ذكرناه .

وكل سورة بل كل آية منه فيها نور . وفيها ضياء وفيها هدى للمتقين . وما أصدق قوله تعالى :

﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾ .

التهليل

روى الترمذى بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » .

وقد أخرج الإمامان — البخارى ومسلم — رضى الله عنهما ، من حديث أبى هريرة ، نضر الله وجهه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » .

وروى الإمام البخارى بسنده ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبى ﷺ . أنه قال :

« من تعار من الليل ، فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » ، ثم قال :

« اللهم اغفر لى ، غفر له ، أو دعا استجيب له ، فإن توضأ وصلى ، قبلت صلاته » .

ومما وصفت به كلمة : لا إله إلا الله . . أنها : «كلمة التوحيد ، وهى كلمة الإخلاص ، وهى : كلمة التقوى ، وهى : الكلمة الطيبة ، وهى : دعوة الحق ، وهى : العروة الوثقى ، وهى : ثمن الجنة»[1] .

وما من شك فى أن كلمة التوحيد إذا قيلت باللسان نابعة من القلب إنما تمثل التوحيد الخالص ، وكانت تعبيراً صادقاً عن : ﴿ قل هو الله

---

(١) إحياء علوم الدين .

أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد﴾

وكانت تعبيراً عن :

﴿إياك نعبد ، وإياك نستعين﴾ .

وكانت تحطيماً للأصنام النفسية والمادية ، وتطهيراً للإنسان عن الشرك فى جميع ألوانه ، ومن أجل ذلك كانت عماداً من عمد الأوراد الصوفية .

وعمد الأوراد الصوفية :

١ – استغفار .

٢– وتوحيد ﴿لا إله إلا الله﴾

٣– وصلاة على الرسول ﷺ .

فهى تمثل ثلث الأوراد الصوفية ، بل تمثل الثلث الأساسى ، فبدونها لا يتحقق السلوك إلى الله على أى وضع من الأوضاع .

ونختم هذا بحديث الإمام البخارى :

فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قلت : يا رسول الله – من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ :

« لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث – أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال :

« لا إله إلا الله » خالصاً من قلبه أو نفسه ».

وبحديث الحاكم الذى قال عنه إنه صحيح الإسناد :

« أفضل الذكر : لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله .

ومن كلام الإمام الغزالى :

« نسأل الله تعالى ، أن يجعلنا فى الخاتمة من أهل لا إله إلا الله ، حالاً ومقالاً وظاهراً وباطناً ، حتّى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها ، بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله ، فإن من أحب الله ، أحب الله لقاءه » .

التسبيح والتحميد والتكبير والحوقلة

يقول الله تعالى :

﴿تُسَبِّحُ له السموات السبع والأَرض ومن فيهن ، وإن من شىء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليماً غفوراً﴾ (١)

ويقول سبحانه :

﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل فسبحه وأَدبار السجود﴾ (٢) .

ويقول تعالى :

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٤٤ .

(٢) سورة « ق » ، الآيتان : ٣٩ - ٤٠ .

﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم . ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾[1] .

ويقول :

﴿فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان توابا﴾[2] .

والآيات القرآنية الكريمة تقرن التسبيح والتحميد تارة ، وتفردهما أخرى . أما الأحاديث النبوية الشريفة فإنها أيضاً تقرن التسبيح بالحمد تارة ، وتفردهما أخرى ، وتتحدث كثيراً عنهما مع التهليل والتكبير والحوقلة ، .. ومن أجل ذلك ستتحدث عنها مجتمعة مبينين مكانتها فى الذكر ، عن طريق الأحاديث الشريفة ..

ولقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن أهل الجنة قائلاً :

﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾[3] .

ولقد روى الإمام مسلم بسنده . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ :

« من سبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد ثلاثاً وثلاثين ، وكبر ثلاثاً وثلاثين ، وختم المائة بلا إله إلا الله ، وحده لا شريك له له الملك

---

(١) سورة الطور ، الآيتان : ٤٨ - ٤٩ .

(٢) سورة النصر . آية : ٣ .

(٣) سورة يونس . آية : ١٠ .

وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر »[1] .

وعن جابر رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد الله »[2] .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ قال :

« التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه »[3] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »[4] .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ؟ قلت : يارسول الله أخبرنى بأحب الكلام إلى الله » ، فقال :

« أحب الكلام إلى الله ، سبحان الله وبحمده »[5] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) رواه مسلم .

(٢) ابن ماجه والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

(٣) الترمذى .

(٤) البخارى ومسلم .

(٥) مسلم والنسائى والترمذى .

« من قال : سبحان الله وبحمده ، فى يوم مائة مرة ، غفرت له ذنوبه ، وإن كانت مثل زبد البحر »[1] .

وعن سليمان بن يسار رضى الله عنه ، عن رجل من الأنصار ، أن النبى ﷺ قال :

« قال نوح لابنه : إنى موصيك بوصية وقاصرها لكى لا تنساها : أوصيك باثنتين ، وأنهاك عن اثنتين ، أما اللتان أوصيك بهما فيستبشر الله بهما وصالح خلقه ، وهما يكثران الولوج على الأرض ، أوصيك بلا إله إلا الله : فإن السماوات والأرض لو كانتا حلقة قصمتهما ، ولو كانتا فى كفة وزنتهما . . . وأوصيك بسبحان الله وبحمده : فإنهما صلاة الخلق ، وبهما يرزق الخلق ، ﴿ وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ .

وأما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله منهما وصالح خلقه : أنهاك عن الشرك والكبر »[2] .

وعن مصعب بن سعد رضى الله عنه قال : حدثنى أبى قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال :

« أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ؟

فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟

---

(١) مسلم والترمذى .

(٢) النسائى والبزار والحاكم ، وقال صحيح الإسناد .

قال : يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة ، أو تحط عنه ألف خطيئة »[1] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن أقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أحب إلى مما طلعت عليه الشمس »[2] .

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت »[3] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لقيت إبراهيم عليه السلام ، ليلة أسرى بى ، فقال : يا محمد أقرئ أمتك منى السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر »[4] .

وعن أبى ذر رضى الله عنه أن ناساً من أصحاب النبى ﷺ قالوا للنبى ﷺ :

يا رسول الله : ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلى ،

---

(١) مسلم والترمذى وصححه ، والنسائى .

(٢) مسلم والترمذى .

(٣) مسلم وابن ماجه .

(٤) رواه الترمذى .

ويصومون كما نصوم . ويتصدقون بفضول أموالهم . قال :

« أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ؟ إن بكل تسبيحة صدقة . وكل تكبيرة صدقة . وكل تحميدة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن منكر صدقة ، وفى بضع أحدكم صدقة » .

قالوا : يا رسول الله – أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟

قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام كان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر »[1]

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« استكثروا من الباقيات الصالحات » . قيل : « وما هن يا رسول الله ؟

قال : التكبير ، والتهليل ، والتسبيح ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »[2] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :

« إذا حدثتكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك فى كتاب الله : إن العبد إذا قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، وتبارك الله ، قبض عليهن ملك فضمهن تحت جناحه وصعد بهن ،

---

(١) مسلم وابن ماجه . (الدثور) بضم الدال جمع دثر – بفتحها – وهو المال الكثير ، (البضع) بضم الموحدة ، وهو الجماع وقيل الفرج نفسه .

(٢) أحمد وأبو يعلى والنسائى .

لا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن ، حتى يحيا بهن وجه الرحمن . ثم تلا عبد الله :

﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » .

قلت : يا رسول الله ، وما رياض الجنة ؟

قال : « المساجد » .

قلت : وما الرتع ؟

قال : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر »[2] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« أول من يدعى إلى الجنة ، الذين يحمدون الله عز وجل فى السراء والضراء »[3] .

وعن جويرية رضي الله عنها : أن النبى ﷺ خرج من عندها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة ، فقال :

مازلت على الحال التى فارقتكِ عليها ؟ قالت : نعم . . . قال النبى ﷺ :

---

(١) الحاكم . وقال صحيح الإسناد . (٣) ابن أبى الدنيا والبزار والطبرانى .

(٢) رواه الترمذى .

لقد قلت بعدك أربع كلمات ، ثلاث مرات ، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن :

سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته [١] .

وعن أبي أيوب رضى الله عنه قال :

قال رجل عند رسول الله ﷺ :

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه . ورأى أنه قد هجم من رسول الله ﷺ على شيء يكرهه ، فقال رسول الله ﷺ : « من هو؟ فإنه لم يقل إلا صواباً » .

فقال الرجل : أنا قلتها يا رسول الله أرجو بها الخير . فقال : « والذى نفسى بيده لقد رأيت ثلاثة عشر ملكاً يبتدرون كلمتك ، أيهم يرفعها إلى الله تبارك وتعالى » [٢] .

وعن أبي موسى رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال له : « قل لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة » [٣] .

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال :

«كنت أمشى خلف النبى ﷺ» فقال لى :

---

(١) مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى .

(٢) ابن أبى الدنيا والطبرانى بإسناد حسن واللفظ له ، والبيهقى .

(٣) ابن ماجه وابن أبى الدنيا وابن حبان فى صحيحه .

« يا أبا ذر ، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ » .

قلت : بلى ،

قال :

« لا حول ولا قوة إلا بالله »[1] .

ونعود إلى التسبيح من جديد :

يقول الله تعالى فى سورة الإسراء :

﴿ تسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شىء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليماً غفوراً ﴾[2] .

وفى معنى هذه الآية الكريمة يقول الله تعالى فى أول سورة الحديد :

﴿ سبح لله ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم ﴾ .

ويقول سبحانه فى أول سورة الحشر :

﴿ سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ .

وافتتح الله سورة الصف وسورة الجمعة وسورة التغابن بالأخبار عن تسبيح الكون له سبحانه .

ويقرن علماؤنا الأعلام رضى الله عنهم بين التسبيح لله سبحانه وبين

---

(١) ابن ماجه وابن أبى الدنيا وابن حبان فى صحيحه .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٤٤ .

السجود له وكما أخبر الله سبحانه بأن الكون كله ، جماده ونباته وحيوانه ، وجنه وإنسه وملائكته يسبح له سبحانه ، فإنه أخبر أن الكون أيضاً بما فيه ومن فيه يسجد له تعالى . . . يقول سبحانه :

﴿ ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض ، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ، ومن يهن الله فما له من مكرم ، إن الله يفعل ما يشاء ﴾[1] .

والواقع أن تسبيح الله تسبيحاً حقيقيًّا ، والسجود له سجوداً صادقاً ، يرتبطان فى وحدة منسجمة فيعبران عن التنزيه القلبى الخالص .

والآيات القرآنية الكثيرة المتعلقة بالتسبيح ، والمتعلقة بالسجود ، تتكاتف كلها لتدل دلالة بينة على أن الحياة منبثة فى جميع أجزاء العالم ، سارية فى كل خلية من خلاياه ، وفى كل ذرة من ذراته .

ويؤيد ذلك الأحاديث التى وردت بتسبيح الحصى ، وحنين الجذع .

يقول الإمام ابن كثير :

« وفى حديث أبى ذر أن النبى ﷺ ، أخذ فى يده حصيات ، فسمع لهن تسبيح كطنين النحل ، وكذا فى يد أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم » .

(١) سورة الحج . آية : ١٨ .

وهو حديث مشهور فى المسانيد .

ولقد قطع الله الطريق على كل من يمارى فى تسبيح النبات والجماد بقوله :

﴿ وإن من شىء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ .

وتسبيح الله هو تنزيهه سبحانه عن الشريك فى الخلق ، وعن الشريك فى القدرة أو الإرادة أو المنح أو المنع .

إنه التوحيد : توحيد الله بالحمد العام المطلق ، وبالشكر الشامل التام . كل ما فى الكون يسبح ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ﴾[1] .

ولقد أجمل الله سبحانه تسبيح الجمادات وفصله ، واستعمل فى ذلك صيغة « سبح » وصيغة « تسبح » وصيغة « يسبح » .

فمن صيغ الماضى :

﴿ سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [2]

ومن صيغ المضارع :

﴿ يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ﴾[3] .

---

(١) سورة النور ، آية : ٤١ .

(٢) سورة الحديد ، آية : ١ .

(٣) سورة التغابن ، آية : ١ .

ومن أمثلة التفصيل قوله تعالى عن الجبال :

﴿ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق ﴾ [1] .

والرعد يسبح :

﴿ ويسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته ﴾ [2] .

وننتقل إلى الكائنات النورانية التى لا يعتريها شك فى تنزيه الله سبحانه ، ومع ذلك فهى تسبح ، ننتقل إلى الملائكة ، يقول تعالى :

﴿ فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار ، وهم لا يسئمون ﴾ [3] .

ويقول سبحانه :

﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله ، يسبحون بحمد ربهم ، ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا . . ﴾ [4] .

ويقول :

﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ، وقضى بينهم بالحق ، وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ .

أما الإنسان فقد فصل الله سبحانه وتعالى الأمر بالنسبة إليه تفصيلاً جميلاً .

لقد أمر سبحانه بالتسبيح أرق المخلوقات وهم الأنبياء والرسل .

---

(1) سورة ص ، آية : ١٨ .

(2) سورة الرعد ، آية : ١٣ .

(3) سورة فصلت ، آية : ٣٨ .

(4) سورة غافر ، آية : ٧ .

ولقد قال سبحانه لرسوله الكريم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه :

﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾ .

﴿وتوكل على الحي الذى لا يموت وسبح بحمده ، وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾ .

وأمر سبحانه جميع المؤمنين به فقال :

﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾ [1] .

وقال :

﴿وإنه لحق اليقين ، فسبح باسم ربك العظيم﴾ [2] .

وقال :

﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [3] .

وجعله علامة الإيمان فقال :

﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً ، وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾ [4] .

وبين الله سبحانه وتعالى ، أنه جعل لبنى البشر من الفلك والأنعام مركباً ثم قال :

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآيتان : ٤١ ، ٤٢ .
(٢) سورة الحاقة ـ الآيتان : ٥١ ، ٥٢ .
(٣) سورة الأعلى ـ آية : ١ .
(٤) سورة السجدة ، آية : ١٥ .

﴿لتستووا على ظهوره ، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ، وتقولوا : سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ [1] .

والأمر كذلك فى كل نعمة .

وهو سبب النجاة .

فذو النون عليه السلام يقول الله عنه :

﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً ، فظن أن لن نقدر عليه ، فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ، ونجيناه من الغم﴾ [2] .

ويقول سبحانه عنه :

﴿فلولا أنه كان من المسبحين ، للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون﴾ [3] .

ويقول سبحانه عن هؤلاء الذين دمر جنتهم

﴿قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ، قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ [4] .

وهو سبب فى الرضا والسكينة ، رضا النفس وسكينتها ، يقول تعالى :

﴿فاصبر على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس

---

(١) سورة الزخرف ، آية : ١٣ .
(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٨٧ .
(٣) سورة الصافات ، آية : ١٤٣ .
(٤) سورة القلم ، الآيتان : ٢٨ ، ٢٩ .

وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾[1] .

وهو من دعاء رجال فى بيوت الله . . يقول سبحانه :

﴿فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال .

رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾[2] .

وهو من دعاء أهل الجنة ، يقول سبحانه :

﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾[3] .

ثم هو فى الحقيقة شعار المؤمن إن رضى ، وشعاره إن تعجب : وشعاره إن سمع بشأن الله ما لا يليق بجلاله :

﴿وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[4] .

﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، قال سبحانك ، ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق﴾[5] .

---

(١) سورة طه ، آية : ١٣٠ .
(٢) سورة النور ، الآيتان : ٣٦ ، ٣٧ .
(٣) سورة يونس ، آية : ١٠ .
(٤) سورة الزمر ، آية : ٦٧ .
(٥) سورة المائدة ، آية : ١١٦ .

﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾[1] .

﴿أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتّى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ، قل سبحان ربى ، هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾[2] .

ومن أجل ذلك كله . . أمر الله سبحانه وتعالى به فى جميع الأوقات ، أمر به فى العشى والإبكار :

﴿فاصبر إن وعد الله حق ، واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار﴾[3] .

وفى المساء والصباح :

﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾[4] .

وبكرة وأصيلاً :

﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾[5] .

وقبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل وأدبار السجود :

﴿فاصبر على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل فسبحه وأدبار السجود﴾[6] .

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٩١ .
(٢) سورة الإسراء ، آية : ٩٣ .
(٣) سورة غافر ، آية : ٥٥ .
(٤) سورة الروم ، آية ، ١٧ .
(٥) سورة الفتح ، آية : ٩ .
(٦) سورة ق ، الآيتان : ٣٩ ، ٤٠ .

وعند القيام ، ومن الليل ، وإدبار النجوم :

﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ، ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾[1] .

وبعد : فيقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه :

« من قال حين يصبح وحين يمسى : سبحان الله وبحمده مائة مرة ، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد »[2].

ونعود إلى الحمد أيضاً من جديد :

الحمد الذى افتتح الله به الفاتحة ، أى افتتح به القرآن مُشِيراً إلى العلة وهى التربية التى من شأنها أن تهذب وأن تسير بالمربى نحو الكمال ، التربية أو السير نحو الكمال لكل عالم ، لجميع العالمين .

الحمد لله رب العالمين .

الحمد لله المربى لجميع العوالم ، السائر بهم نحو الكمال بحسب استعداد كل واستجابته ، ومن أجل ذلك ، بل من أجل كماله سبحانه فى نفسه كان له الحمد فى السموات والأرض .

﴿وله الحمد فى السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون﴾[3] .

﴿فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين﴾[4] .

(١) سورة الطور ، الآيتان : ٤٨ ، ٤٩ (٣) سورة الروم ، آية : ١٨ .

(٢) رواه مسلم . (٤) سورة الجاثية ، آية : ٣٦ .

وكان له الحمد فى الأولى والآخرة :

﴿وهو الله لا إله إلا هو ، له الحمد فى الأولى والآخرة ، وله الحكم ، وإليه ترجعون﴾ (١) .

ومن أجمل أنواع الحمد وأرقها ، وأرقاها وأنفسها ، الحمد الذى ينبعث من نفس الإنسان من أجل كمال الله سبحانه .

وقد وردت فى القرآن الكريم نماذج لذلك .

يقول تعالى :

﴿وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً﴾ (٢) .

ويلى ذلك الحمد على نعمة الهداية ، وعلى إنزال مصدرها ومنبعها : القرآن .

﴿الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾ (٣) .

ثم الحمد على النعمة العامة :

﴿الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ (٤) .

﴿الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد فى الخلق ما يشاء ، إن الله على كل

(١) سورة القصص ، آية : ٧٠ .
(٢) سورة الإسراء ، آية : ١١١ .
(٣) سورة الكهف ، آية : ١ .
(٤) سورة الأنعام ، آية : ١ .

شيء قدير﴾[1] .

ثم الحمد من أجل النعم الخاصة ، والنعم الخاصة كثيرة متعددة .

﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[2] .

وقد أسبغها الله علينا ظاهرة وباطنة :

﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾[3] .

وكلها – بدون استثناء – من الله :

﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾[4] .

من أجل ذلك :

أمر الله سبحانه بالحمد عند كل نعمة :

﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك ، فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين﴾[5] .

واستجاب للأمر من استجاب :

﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً ، وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾[6] .

﴿الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق ، إن ربى

(1) سورة فاطر ، آية : ١ .
(2) سورة إبراهيم ، آية : ٣٤ .
(3) سورة لقمان ـ آية . ٢٠ .
(4) سورة النحل ، آية : ٥٣ .
(5) سورة المؤمنون ، آية : ٢٨ .
(6) سورة النمل ، آية : ١٥ .

لسميع الدعاء﴾[1]

والحمد من دعاء أهل الجنة :

﴿وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض ، نتبوأ من الجنة حيث نشاء ، فنعم أجر العاملين﴾[2] .

﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل ، تجرى من تحتهم الأنهار ، وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾[3] .

﴿وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾[4] بل هو آخر دعاء أهل الجنة :

﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾[5] .

الحمد لله :

إنها تملأ الميزان كما ورد فى حديث أبى مالك الأشعرى – فيما رواه الإمام مسلم . قال : قال رسول الله ﷺ :

« الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض » .

وبعد :

---

(١) سورة إبراهيم ، آية : ٣٩ .
(٢) سورة الزمر ، آية : ٧٤ .
(٣) سورة الأعراف ، آية : ٤٣ .
(٤) سورة فاطر ، آية : ٣٤ .
(٥) سورة يونس ، آية : ١٠ .

فعن رسول الله ﷺ فيما رواه الشيخان قال :

« من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، فى يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ؛ وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتّى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » .

وقال :

« من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة . حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر »[1] .

وأخيراً : فإنه ينبغى – متابعة للنسق القرآنى – أن يفتتح المسلم كل عمل من أعماله الخيرة بقوله : « الحمد لله » .

الإسلام والاستسلام لله :

ويتساءل كثير من الناس فيقولون :

لم كانت ثمرة هذه الكلمات ، مع سهولتها ويسرها عظيمة ؟ لم كان ثوابها جزيلاً ؟

لم كان لها كل هذا الفضل ؟

من أجل الإجابة على هذا السؤال نورد حديثين ينبغى أن نتدبرهما فى

(١) متفق عليه .

تأمل ، ونتروى فى فهم معناهما فى عمق :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« من قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، قال الله : أسلم عبدى واستسلم »[1] .

وروى الحاكم وقال : صحيح ولا علة له - أن رسول الله ﷺ قال لأبى هريرة :

« ألا أعلمك (أو ألا أدلك) على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة ؟ تقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . فيقول الله :

أسلم عبدى واستسلم » .

والهدف إذن من ترداد هذه الكلمات المباركة :

أن يتغلغل معناها فى رفق ، فى نفس الإنسان ، وفى كيانه كله ، حتى تقوده إلى الإسلام والاستسلام ، إلى إسلام الوجه له سبحانه ، وإلى الاستسلام الكلى لجلاله ، إنها توجه إلى هذا وتقود إليه ، وهو غايتها .

فتنزيه الله - وهو المعنى لسبحان الله - عن أن يكون فى حكمته إلا كل كمال وطهر وصفاء وسمو : إنما هو رضاء واستسلام لكل ما يأتى عنه من أفعال وأقوال هى الحق والخير والجمال .

---

(١) الحاكم . وقال : صحيح الإسناد .

وحمد الله على جميع النعم الظاهرة والباطنة ، إنما هو إقرار بأن ما بالإنسان من نعمة ظاهرة أو باطنة فمن الله :

﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾[1] .

﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾[2] .

﴿وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[3] .

إن هذا الذى يتقلب فى نعم الله صباحاً ومساء ، ليلاً ونهاراً ، فيعرفها ويحمد الله عليها ، لا يتأتى له – فى منطق الحق – إلا أن يسير نحو المنعم ويهاجر إليه مسلماً مستسلماً .

ولا إله إلا الله ، خالصة من القلب ، ترجح فى الميزان السماوات والأرض ، لا يخيب قائلها مخلصاً .

إنها تحطيم للأصنام ، واستعلاء على الدنايا ، وتوجيه الوجه إلى الكمال المطلق : الله . .

والله أكبر بلا موازنة . والله أكبر بلا مقارنة . والله أكبر بإطلاق . والله أكبر يقيناً لا شك فيه . والله أكبر علماً لا جهل معه . والله أكبر هداية لا يشوبها ضلال . الله أكبر تقتضى : ففروا إلى الله . .

---

(١) سورة النحل . آية : ٥٣ .

(٢) سورة لقمان . آية : ٢٠ .

(٣) سورة إبراهيم . آية : ٣٤ .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم : تجريد وإخلاص ، وتوجه كامل إلى صاحب الحول/ والقوة ائتماراً بأمره ، وانتهاء عما نهى .

والثمرة الكلية لهذه الكلمات المباركة . إنما هى إسلام واستسلام لله سبحانه . وهذا هو التدين ، وهذا هو الإسلام الذى مثله رسول ﷺ . فى خضوعه لله وتبتله . وفى كفاحه فى سبيل الله ونضاله ، وفى شجاعته فى الحق وتمسكه به . وفى استعلائه على الدنايا ، وانغماسه فى الطهر . وفى عمله ليلاً ونهاراً ليسير المجتمع ، أفراداً وجماعات - على صراط الله المستقيم : عقيدة وخلقاً وتشريعاً .

إن هذه الكلمات المباركة : تصل بالمؤمنين المخلصين إلى أن يستجيبوا لله ورسوله ، مجاهدين فى سبيل الله ورسوله ، إنها تجردهم من الجبن ، ومن التملق ، والرياء ، والمداهنة ، وتخلصهم للحق والخير والعمل ، جنوداً فى سبيل الخير والحق ، آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر ، لا يخشون فى الله لومة لائم .

ومن أجل ذلك وغيره من ثمار زكية تؤدى إليها هذه الكلمات ، كان ما ترتب عليها من ثواب جزيل ، ورضوان جم .

الصّلاة على النبّى

ومن الذكر الصلاة على خير المرسلين :

يقول الله تعالى :

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى ، يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾[1] .

والصلاة على النبى : هى نفل الجزء الثانى من الركن الأول من أركان الإسلام ، وهو شهادة أن محمداً رسول الله .

ولقد روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« من صلى على صلاة ، صلى الله عليه بها عشراً »[2] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال :

« أولى الناس بى يوم القيامة ، أكثرهم على صلاة »[3]

وعن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« البخيل من ذكرت عنده ، فلم يصل على »[4] .

---

(١) سورة الأحزاب ، آية : ٥٦ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) الترمذى ، وقال : حسن .

(٤) رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح .

أهمية الصلاة على الرسول ﷺ :

ونتبين أهمية الصلاة على الرسول ﷺ من الحديثين التاليين :

عن محمد بن يحى بن حيان . عن أبيه ، عن جده رضى الله عنه ،

« أن رجلاً قال : يا رسول الله . أجعل ثلث صلاتى عليك ؟ قال .. نعم ، إن شئت . قال : الثلثين ؟ قال : نعم ، إن شئت . قال : فصلاتى كلها ؟ » قال رسول الله ﷺ :

« إذاً يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وأخراك » .

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه قال :

كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال : « يأيها الناس : اذكروا الله ، اذكروا الله . . جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه . جاء الموت بما فيه » . قال أبى بن كعب :

فقلت : يا رسول الله ، إنى أكثر الصلاة ، فكم أجعل لك من صلاتى ؟

قال : ما شئت . .

قال : قلت : الربع ؟

قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك . .

قال : فقلت : فالثلث ؟

(١) رواه الطبرانى .

قال : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك .

قلت : النصف ؟

قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك .

قال : أجعل لك صلاتى كلها ؟

قال : إذاً يكفى همك ، ويغفر لك ذنبك[1] .

وإذا كانت الصلاة على رسول الله ﷺ ، مطلوبة فى كل وقت ، فإنه ﷺ . قد حث عليها فى يوم الجمعة بالذات . وهو يوم مبارك ، فتزيده الصلاة على الرسول ﷺ بركة ونوراً .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة . فإنه مشهود تشهده الملائكة . وإن أحداً لن يصلى على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » . قال : قلت : وبعد الموت ؟ قال :

« إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام »[2] .

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم

---

(١) رواه أحمد والترمذى والحاكم .

(٢) رواه ابن ماجه بإسناد جيد .

معروضة علىّ» . قالوا :

«يا رسول الله ، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت .(يعنى بليت) . .» فقال :

«إن الله -عز وجل ، حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[1] .

ولقد تفنن الصالحون فى صيغ الصلاة على رسول الله ﷺ ، حتى إنه ليجد الإنسان ما لا يكاد يعد ولا يحصى من هذه الصيغ ، وفيها النور ، وفيها الإشراق والصفاء.

وبعضها خالص فى الصلاة قد تمحض لها ، وبعضها تتجه تعبيراته إلى طلب من الله سبحانه ، كشفاء المريض ، أو قضاء الحاجة ، أو انشراح الصدر . ونذكر الآن نماذج من هذه الصلوات .

وأول ما نذكر من ذلك هى ما أطلق عليها الصلاة الإبراهيمية :

«اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت على سيدنا إبراهيم ، وعلى آل سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا إبراهيم ، وعلى آل سيدنا إبراهيم ، فى العالمين ، إنك حميد مجيد» .

ومن صيغ الصلاة على النبى ﷺ ، ما ذكره شيخنا فضيلة المرحوم الشيخ عبد الفتاح القاضى ، الشاذلى طريقة ، الشبلنجى مولداً وإقامة ،

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم .

وقد تلقاها تلقينا فى النوم :

« اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك : عدد خلقك ، ورضاء نفسك ، وزنة عرشك ، ومداد كلماتك » .

وصيغة الشيخ الكبير العارف بالله ، سيدى المتبولى ، من أجمل الصيغ وأكملها وهى :

« اللهم إنى أسألك بك أن تصلى وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين ، وأن تغفر لى ما مضى ، وتحفظنى فيما بقى » .

والصيغة التى تلقيناها عن العارف بالله الشيخ محمد عبد المغنى ، الذى تلقاها عن رسول الله ﷺ شفاها هى :

« اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً ، وكن بنا وبالمؤمنين رءوفاً رحيماً » :

ومن الصيغ التى يرددها الصالحون كثيراً :

« اللهم صل على سيدنا محمد ، صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات ، وتقضى لنا بها جميع الحاجات ، وتظهرنا بها من جميع السيئات ، وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات ، وتبلغنا بها أقصى الغايات ، من جميع الخيرات فى الحياة ، وبعد الممات »[1] .

---

(١) هذه الصلاة واردة فى « الدلائل » .

ومن الصيغ :

« اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى ، وعلى آل محمد ، صلاة تكون لنا رضاء . ولحقه أداء . واعطه الوسيلة ، والمقام المحمود ، الذى وعدته . وأجزه عنا ، ما هو أهله ، وأجزه أفضل ما جازيت نبياً عن أمته ، وصل على جميع إخوانه من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين .

اللهم صل على محمد فى الأولين . وصل على محمد فى الآخرين ، وصل على محمد إلى يوم الدين .

اللهم صل على روح محمد فى الأرواح ، وصل على جسده فى الأجساد ، وعلى قبره فى القبور ، واجعل شرائف صلواتك ، ونوامى بركاتك . ورأفة تحننك ورضوانك . على محمد عبدك ونبيك ورسولك وسلم تسليماً كثيراً »[1] .

ومنها :

« اللهم صل على سيدنا محمد الذى أشرقت به الظلم ، اللهم صل على سيدنا محمد المبعوث بالرحمة لكل الأمم ، اللهم صل على سيدنا

---

(١) هذه الصلاة ذكرها الإمام العارف شهاب الدين أحمد السهروردى فى كتابه : « عوارف المعارف » .

محمد المختار للسيادة والرسالة قبل خلق اللوح والقلم ، اللهم صل على سيدنا محمد الموصوف بأفضل الأخلاق والشيم . اللهم صل على سيدنا محمد المخصوص بجوامع الكلم وخواص الحكم ، اللهم صل على سيدنا محمد الذى كان لا تنتهك فى مجالسه الحرم ، ولا يغضى عمن ظلم ، اللهم صل على سيدنا محمد الذى كان إذا مشى تظلله الغمامة حيثما يمم ، اللهم صل على سيدنا محمد الذى أثنى عليه رب العزة فى سالف القدم ، اللهم صل على سيدنا محمد الذى صلى عليه الله فى محكم كتابه وأمرنا أن نصلى عليه ونسلم ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه ما انهلت الديم ، وما جرت على المذنبين أذيال الكرم ، وسلم تسليماً ، وشرف وكرم »[1] .

ومنها :

« اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى ، الطاهر الذكى ، صلاة تحل بها العقد . وتفك بها الكروب »[2] .

---

(١) وهذه الصلاة الحافلة المتجلية هى لسيدى الفاكهانى ، صاحب كتاب « الفخر المنير فى الصلاة على البشير النذير » .

(٢) هذه الصلاة ذكرها الزبيدى فى مختصر البخارى فى كتابه « الصلات والعوائد » وقال عنها بعض الصالحين : إنها مجربة فى تفريج الكرب .

ومنها :

« اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره ، ورحمة للعالمين ظهوره ، عدد من مضى من خلقك ومن بقى ، ومن سعد منهم ومن شقى ، صلاة تستغرق العد ، وتحيط بالحد ، صلاة لا غاية لها ، ولا منتهى ، ولا انقضاء ، صلاة دائمة بدوامك ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً مثل ذلك [1] » .

ومنها :

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، صلاة تكون لك رضاء ، ولحقه أداء ، وأعطه الوسيلة والمقام الذى وعدته » [2] .

« اللهم إنى أسألك بك ، أن تصلى وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، وآلهم وصحبهم أجمعين ، وأن تغفر لى ما مضى ، وتحفظنى فيما بقى » [3] .

وفى حديث فضالة ، أن النبى ﷺ قال :

---

(١) ذكر شرح « الدلائل » أن سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه ختم بهذه الصلاة حزبه .

(٢) ورد عن هذه الصلاة كما يقول الشعرانى ، أن النبى ﷺ قال : « من قالها فقد وجبت له شفاعتى » .

(٣) وهذه الصلاة لسيدى إبراهيم المتبولى .

«إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ، ثم يصلى على النبى ، ثم يدعو بما شاء»[1] .

وبعد :

فإن الإمام الصاوى يشرح قوله تعالى :

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ .

فيقول :

هذه الآية : فيها أعظم دليل على أنه ﷺ مهبط الرحمات ، وأفضل الخلق على الإطلاق . إذ الصلاة من الله على نبيه رحمته المقرونة بالتعظيم ، ومن الله على غير النبى مطلق الرحمة . . لقوله تعالى :

﴿هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ .

فانظر الفرق بين الصلاتين . والفرق بين المقامين .

ثم يقول فى معنى قوله تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ .

أى ادعوا له بما يليق به . وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبى

---

(١) رواه أحمد وصححه الترمذى : ابن حبان والحاكم .

تشريفهم بذلك حيث اقتدوا بالله فى مطلق الصلاة ، وإظهار تعظيمه ﷺ ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق ، لأنه الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت لهم ، وحق على من وصلت له نعمة من شخص أن يكافئه ، فصلاة جميع الخلق عليه مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه .

واعلم أن العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبى ﷺ ثم اختلفوا فى تبين الواجب :

فعند مالك : تجب الصلاة والسلام فى العمر مرة .

وعند الشافعى : تجب فى التشهد الأخير من كل فرض .

وعند غيرهما : تجب فى كل مجلس مرة .

وقيل : تجب عند ذكره .

وقيل : يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد .

وبالجملة : فالصلاة على النبى أمرها عظيم ، وفضلها جسيم ، وهى من أفضل الطاعات ، وأجل القربات ، حتى قال بعض العارفين :

«إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ لأن الشيخ والسند فيها صاحبها ، لأنها تعرض عليه ، ويصلى على المصلى ، بخلاف غيرها من الأذكار ، فلابد فيها من الشيخ العارف ، وإلا دخلها الشيطان . ولم ينتفع صاحبها بها» .

وفى الآية الجمع بين الصلاة والسلام . وصيغ الصلاة على النبى

ﷺ كثيرة لا تحصى ، وأفضلها : ما ذكر فيه لفظ الآل والصحب ، فمن تمسك بأى صيغة منها حصل له الخير العظيم»[1] .

ويقول الشاعر العربى :

إذا كنت فى ضيق وهم وفاقة
وأمسيت مكروباً وأصبحت فى حرج

فصل لى المختار من آل هاشم
كثيراً فإن الله يأتيك بالفرج

(١) حاشية الصاوى على الجلالين : جـ ٣ . ص : ٢٣٨ . ٢٣٩ .

٢ ـ فى الدُّعَاء

الفصل الأول

يا رب

الدعاء هو الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير ، والابتهال إليه بالسؤال . وكل إنسان منا له حاجاته ومطالبه سلباً وإيجاباً . إنه يواجه فى هذه الحياة أموراً يرغب فيها ، فيدعو الله أن يحققها له ، وأموراً يرهبها ، فيدعو الله أن يصرفها عنه .

ولقد بين القرآن الكريم ، والسنّة النبوية الشريفة ، وأئمتنا الصالحون ، متناسقين مع كتاب الله وسنة رسوله – الوسائل التى تؤدى بالإنسان إلى أن يكون بمعزل عن الشر ، وإلى أن يكون دائماً فى مرضاة الله سبحانه ، يجيبه إذا طلب ، ويعيذه إذا استعاذ . إن الله سبحانه يقول :

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾[1] .

ويقول تعالى :

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾[2] .

ويقول سبحانه :

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ،

---

(١) النحل آية : ٩٧ .　　(٢) الأعراف آية : ٩٦ .

ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شىء قدراً ﴾[1] .

ويقول عز وجل :

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾[2] .

ويقول سبحانه :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ، نزلاً من غفور رحيم ﴾[3] .

وبين رسول الله ﷺ الطريق الذى إذا سار فيه المؤمن انتهى به إلى حب الله له ، يستجيب له إذا دعا ، ويجيبه إذا سأل .

أخرج الإمام البخارى رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال فيما رواه عن ربه :

« من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحبّ إلىّ من أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى

---

(١) الطلاق الآيتان : ٢ ، ٣ .

(٢) يونس الآيتان : ٦٣ – ٦٣ .

(٣) فصلت الآيات : ٣٠ – ٣٢ .

بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه » .

وفى جانب المعصية — وأنها سبب للشقاء والكوارث تصيب الإنسان — يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، ويعفو عن كثير ﴾ [1] .

ويقول سبحانه :

﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً ﴾ [2] .

ويقول تعالى :

﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾ [3] .

ويقول سبحانه :

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ [4] .

ويقول سبحانه وتعالى :

---

(١) الشورى آية : ٣٠ .
(٢) فاطر آية : ٤٥ .
(٣) هود آية ١١٧ .
(٤) الأعراف آية : ١٦٥ .

﴿ فكلاً أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾[1] .

ويقول رسول الله ﷺ :

« والذى نفسى بيده : ما من خدش عود ، ولا عثرة قدم ، ولا اختلاج عرق – إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر »[2] .

إن هذا الحديث الشريف يرسم أصلاً من أصول التربية الإلهية والتربية الإلهية ، لا تسير فى مبادئها فوضى لا تحكمها قاعدة ، أو تسير فى مبادئها مصادفة لا تخضع لقانون ، كلا ! وإنما هى قواعد ذات مقدمات ونتائج ، والحديث الشريف يدل على أن جزاء الشر شر ، وأن آلام الإنسان ومصائبه إنما هى ثمار آثامه ومعاصيه .

وما من شك فى أن الله سبحانه يعفو عن الكثير :

﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾[3] .

وإذا كان الله سبحانه يعفو عن الكثير تفضلاً منه وكرماً ، وإذا كان سبحانه رءوفاً بعباده رحيماً بهم – فإنه يحذرنا نفسه ، ويقول مثلاً فى جريمة من الجرائم التى حذر منها أكثر من مرة فى القرآن الكريم ، وهى

---

(١) العنكبوت آية : ٤٠ .
(٢) رواه الطبرى وابن عساكر.
(٣) فاطر آية : ٤٥ .

موالاة أعداء الله :

﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير ﴾[1] .

ورسول الله ﷺ يحذرنا أيضاً من عاقبة الظلم ، فيقول فيما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه :

« إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » .

ولن يحول دون عقاب الله على المعاصي حائل من نسب أو جاه أو ثروة ، فهذا نوح عليه السلام يشفع في ابنه ، فيقول بعاطفة الأب الفطرية :

﴿ رب ، إن ابني من أهلي ، وإن وعدك الحق ، وأنت أحكم الحاكمين ﴾ .

ويرد الله سبحانه على نوح وهو نبيه ورسوله قائلاً :

﴿ إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾[2] فعمل السيئ فصل ما بينه وبين أبيه من صلة .

ثم يقول الله سبحانه وتعالى معلماً ومربياً :

﴿ فلا تسألن ما ليس لك به علم ، إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾[2] .

---

(١) آل عمران آية : ٢٨ . (٢ ، ٢) هود آية : ٤٦

ويضرب الله مثلاً للذين كفروا بامرأتين هما امرأة نوح ، وامرأة لوط فيقول :

﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾[1] .

لقد أغرق الله ابن نوح ، ودمَّر امرأة نوح غرقاً ، ودمَّر امرأة لوط بالخسف .

أما قارون : فإنه أعلن الانفصال عن الله ، وأراد أن يقوم بنفسه ، وجحد كل نعمة لله عليه وفضل ، وأعلن – فى تبجح سافر وفى كبرياء – أن الفضل فيما يتمتع به من نعمة يرجع إليه هو قائلاً عن ثرائه العريض :

﴿ إنما أوتيته على علم عندى ﴾ .

وكانت نتيجة ذلك ما عبر الله عنه بقوله :

﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين ﴾[2] .

روى الترمذى أن النبى ﷺ قال :

« لا تصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر » ثم قرأ :

﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ .

(١) التحريم آية : ١٠ .
(٢) القصص آية : ٧٨ .

وإذا أصلح الإنسان ما بينه وبين الله ، تولاه الله برعايته ، ويبدأ الصلح مع الله بأن يتجنب الإنسان نزغات الشيطان ، يقول سبحانه :

﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، إنه سميع عليم ﴾[1] .

ومعنى النزغ فى هذه الآية الكريمة : وسوسة الشيطان بالبسر على أى وضع كان ، والملجأ فى أمثال هذه الحالات إنما هو الاستعاذة بالله ، فهو سبحانه وتعالى السميع العليم .

ولقد ورد فى معنى هذه الآية الكريمة آيات أخرى فى القرآن . يقول تعالى :

﴿ خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين ، وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، إنه سميع عليم ﴾[2] .

ويقول سبحانه :

﴿ ادفع بالتى هى أحسن السيئة ، نحن أعلم بما يصفون ، وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾[3] .

ولقد روى الإمام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل ، فاستفتح صلاته وكبر قال :

---

(١) الأعراف آية : ٢٠٠ .

(٢) الأعراف الآيتان : ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٣) المؤمنون الآيات : ٩٦ ـ ٩٨

« سبحانك اللهم وبحمدك ، تبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك » ، ثم يقول :

« أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم : من همزه ، ونفخه ، ونفثه » .

لقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم مع أنه ليس للشيطان عليه من سبيل ، ومع أنه قد استخرج حظ الشيطان من قلبه الشريف ، منذ البواكير الأولى من حياته حين شق جبريل عليه السلام عن صدره واستخرج حظ الشيطان منه ، وما هذه الاستعاذة منه ﷺ إلا امتثالا لأمر الله تعالى حين قال سبحانه :

﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾.

ورسول الله ﷺ ، يتبع أوامر الله سبحانه فى اليسير منها ، والعظيم ، ومادام الله قد أمر بالاستعاذة من الشيطان ، فهو صلوات الله وسلامه عليه ، يستعيذ منه مع عصمته ﷺ من أن يتأثر بالشيطان ، كما كان رسول الله ﷺ يستغفر الله ويتوب إليه فى اليوم سبعين مرة ، أو أكثر من ذلك ، مع عصمته من الذنوب .

واستعاذته ﷺ ، وتوبته إنما هما نوع من العبادة ، والله سبحانه وتعالى يحب التوابين ويحب هؤلاء الذين يلجئون إليه فى كل آونة ، ويرجعون إليه فى كل أمر .

أما فيما يتعلق باستعاذة المؤمن من الشيطان ، فإنها لا تكون بمجرد ألفاظ تخرج من الشفاه لا تتجاوزها ، وإنما هى جهاد من المؤمن متتابع يبدأ بالتوبة الخالصة النصوح .

والواقع أن التوبة إذا كانت خالصة نصوحاً فإنها تكون بمثابة إتيان ملكين يشقان عن صدر الإنسان ، ويستخرجان حظ الشيطان منه ، والواقع أيضاً أن التوبة إنما هى اللبنة الأولى فى سبيل القرب من الله ، فى طريق البعد عن الشيطان ، ومن أجل ذلك اعتبرها سادتنا الصوفية ، واعتبرها الصالحون – على مر العصور – الخطوة التى لا مناص من تنفيذها إذا أراد الإنسان أن يصطلح على الله سبحانه . ولأهميتها الكبرى فى الطريق إلى الله حث الله عليها بشتى الوسائل ، وفتح بابها على مصراعيه :

﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ﴾[١] .

روى النسائى من حديث معاذ بن جبل ، قال : استب رجلان عند النبى ﷺ ، فغضب أحدهما غضباً شديداً ، حتى تخيل إلى أن أحدهما

(١) الزمر الآيات : ٥٣ – ٥٥ .

يتمزع أنفه من شدة غضبه ، فقال النبى ﷺ : إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب ، فقال معاذ : ما هى يارسول الله ؟ قال : يقول :

« اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم » .

* * *

وإذا ما تجنب الإنسان نزغات الشيطان ، فإن من علامة صدقه فى ذلك أن يستقيم . عن أبى عمرو سفيان بن عبد الله – فيما رواه الإمام مسلم – قال :

قلت : يارسول الله ، قل لى فى الإسلام قولا ، لا أسأل عنه أحداً غيرك .

قال ﷺ :

« قل آمنت بالله ثم استقم » .

وهذا الحديث الشريف من جوامع الكلم ، وهو يصور الدستور الدينى ، ويرسم الطريق واضحة لمن يتطلعون إلى الهداية والأساس الأول ، الأساس الذى بدونه لا يكون الإنسان من المهتدين ولا من المفلحين : إنما هو الإيمان ، وكل عمل بدون إيمان لا يكون إلا هباء منثوراً . يقول الله تعالى فى ذلك :

﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا فى أنفسهم وعتو عتوًا كبيرًا . يوم يرون الملائكة

لا بشرى يومئذ للمجرمين . ويقولون : حِجراً محجوراً . وقدِمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾[1] .

إن الله سبحانه لا يتقبل عملا من غير مؤمن ، ومع الإيمان الاستقامة ، والاستقامة هي : لزوم طاعة الله تعالى ، إنها لزوم طاعته فيما أمر. يقول الله تعالى لرسوله الكريم :

﴿ فاستقم كما أمرت ﴾.

وأوامر الله سبحانه وتعالى : تمثل الخلق الكريم ، أسمى ما يكون الخلق ، وتمثل العقيدة الحقة التي لا حق وراءها في عالم الغيب أو عالم الشهادة ، وتمثل التشريع صورة صادقة لنفع المجتمع وصلاحه .

والاستقامة إذن لا تتأتى إلا إذا توفر الاتباع الصادق في العقيدة ، وفي الأخلاق ، وفي التشريع .

بيد أن الحديث عن الاستقامة إنما يتجه عادة إلى الجانب الأخلاقي في الإنسان .

ومما لا شك فيه ، أن الاستقامة تتنافى مع الرياء ، على أي وضع كان الرياء ، بل إن الرياء يحبط العمل مهما تسمى هذا العمل باسم من أسماء الخير.

وتتنافى الاستقامة مع الغش بجميع ألوانه . ولقد أخرج الرسول ، ﷺ ، الغاش عن دائرة الأمة الإسلامية فقال ﷺ :

(١) الفرقان الآيات : ٢١ - ٢٣ .

« من غشنا فليس منا » .

وتتنافى الاستقامة مع جميع ألوان الشر ، فإن الله سبحانه حينما يبين أن الاستقامة طريقها وحقيقتها ومظهرها اتباع الأوامر يقول :

﴿ فاستقم كما أمرت ﴾[1] .

ويقول سبحانه عن أوامره :

﴿ إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴾[2] .

والفحش كله – وهو الشر بوجه عام – خارج عن دائرة الاستقامة ، والمستقيم بعيد عنه .

وبعد : فإنه لو عرف الناس جزاء المستقيم ، وتيقنوا منه ، وآمنوا به : لما تخلى عن الاستقامة إلا من كان فى عقله دخل ، يقول الله تعالى :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[3] .

والآية عامة مطلقة : أى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الدنيا ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الآخرة .

إنهم آمنون بحفظ الله على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، وهم آمنون بوعد الله فى الآخرة ، فإن الله سبحانه يختم الآية الكريمة بقوله تعالى :

---

(١) هود من آية : ١١٢ .

(٢) الأعراف آية : ٢٨ .

(٣) الأحقاف آية : ١٣ .

﴿ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ [1] .

والمؤمنون إذا استقاموا فقد حققوا الوسائل التى طلبها الله منهم ليستخلفهم فى الأرض ، وليمكنهم فيها ، يقول سبحانه :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [2] .

وإذا تحققت الخلافة للمؤمنين فى الأرض ، وإذا مكَّن الله لهم دينهم ، وإذا بَدَّلهم من بعد خوفهم أمناً ، فإنه سبحانه يكون قد حقق لهم الرغبات ، وأزال عنهم الخوف ، واستجاب دعاءهم .

هذه مقدمة لها تفصيلها فيما يلى إن شاء الله تعالى .

---

(١) الأحقاف آية : ١٤ .

(٢) النور آية : ٥٥ .

الفصل الثاني

الدعاء : أنوار وأضواء

فضل الدعاء :

عن أبي هريرة رضى الله عنه – فيما أخرجه الإمام أحمد والترمذى – عن النبى ﷺ ، قال :

« ليس شىء أكرم على الله من الدعاء » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض »[1] .

وعن النعمان بن بشير ، رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ :

﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين﴾ »[2] .

وروى عن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله ، ﷺ قال :

« الدعاء مُخّ العبادة » . رواه الترمذى .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ، ورواه أبو يعلى من حديث على .

(٢) رواه أبو داود ، والترمذى ، وقال حديث صحيح .

« ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا أتاه الله تعالى إياها . أو صرف عنه من السوء مثلها . مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم » . فقال رجل من القوم :

« إذاً نكثر » قال : « الله أكثر » . رواه الترمذى ، والحاكم » .

وعن أبى هريرة . رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل فى مسألة إلا أعطاها إياه : إما أن يعجلها له ، وإما أن يدخرها له فى الآخرة » [1] .

وعن جابر بن عبد الله . رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال :

« يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه . فيقول : عبدى إنى أمرتك أن تدعونى . ووعدتك أن أستجيب لك . فهل كنت تدعونى ؟ فيقول : نعم يارب .

فيقول : أما إنك لم تدعنى بدعوة إلا استجبت لك . أليس دعوتى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك ؟

فيقول : نعم يارب

فيقول : إنى عجلتها لك فى الدنيا .

ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجاً ؟

قال : نعم يارب .

فيقول : إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا .

---

(١) رواه أحمد رضى الله عنه .

ودعوتنى فى حاجة أن أقضيها لك فى يوم كذا وكذا فقضيتها ؟

فيقول : نعم يارب .

فيقول : إنى عجلتها لك فى الدنيا .

ودعوتنى يوم كذا وكذا فى حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها ؟

فيقول : نعم يارب .

فيقول : إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا » .

قال رسول الله ، ﷺ :

« فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له : إما أن يكون عجل له فى الدنيا ، وإما أن يكون ادخر له فى الآخرة . قال : فيقول المؤمن فى ذلك المقام :

ياليته لم يكن عجل له شىء من دعائه »[1] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى :

« يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا . ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً ، لأتيتك بقرابها مغفرة »[2] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه الحاكم .

(٢) رواه أحمد والحاكم .

« إن الله عز وجل » يقول :

« أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا دعانى »[1] .

طلب الدعاء :

يقول الله تعالى :

﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الدّاع إذا دَعَانِ ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾[2] .

وقال تعالى :

﴿ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم . إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾[3] .

وقال تعالى :

﴿ أمَّن يجيب المُضْطرَّ إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض أإلَه مع الله ، قليلا ما تذكرون ﴾[4] .

وقال تعالى :

﴿ ولا تتمنَّوا ما فضل الله به بعضكم على بعض . للرجال نصيب ممَّا اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، إن

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٦ .

(٣) سورة غافر آية : ٦٠ .

(٤) سورة النمل آية : ٦٢ .

الله كان بكل شىء عليماً ﴾[1] .

وقال سبحانه :

﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ، إنه لا يحب المعتدين . ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ، وادعوه خوفاً وطمعاً ، إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾[2] .

وقال تعالى :

﴿ هو الحى لا إله إلا هو فادعُوه مخلصين له الدِّين ، الحمد لله رب العالمين ﴾[3] .

وعن أبى صالح - فيما أخرجه ابن ماجه - قال : قال رسول الله ﷺ : « من لم يسأل الله يغضب عليه » .

وعن عبد الله - فيما أخرجه الترمذى - قال : قال رسول الله ﷺ :

« سلوا الله من فضله ، فإن الله يحب أن يُسأل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج » .

وعن أبى ذر رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ فيما يروى عن ربه عز وجل أنه قال :

« يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا .

---

(١) سورة النساء آية : ٣٢ .

(٢) سورة الأعراف الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .

(٣) سورة غافر آية : ٦٥ .

ياعبادى كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم .

ياعبادى كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعمونى أطعمكم .

ياعبادى كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسونى أكسكم .

ياعبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم .

يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى .

ياعبادى لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئاً .

ياعبادى لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً .

ياعبادى لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان منهم مسألته ، ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر .

ياعبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله عز وجل ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » [1] .

---

(١) رواه مسلم .

الدعاء والقضاء :

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر إلا البر ، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يذنبه[1] .

وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر إلا البر »[2] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

« لا يغنى حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء ، فيعتلجان إلى يوم القيامة »[3] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة ، وما سئل الله شيئاً – يعنى : أحب إليه – من أن يسأل العافية . وقال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء »[4]

ويقول الإمام الغزالى :

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه البزار والطبرانى والحاكم .
(٤) رواه الترمذى والحاكم .

فإن قلت : ما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له ؟

فاعلم أن من القضاء رد البلاءبالدعاء ، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة ، كما أن الترس سبب لرد السهم ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يعتلجان ، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى ألا يحمل السلاح ، وقد قال تعالى :

﴿ خذوا حذركم ﴾.

وألا تُسقَى الأرض بعد بث البذر ، فيقال : إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر ، وإن لم يسبق لم ينبت ، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول .

وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر ، فالذى قدر الخير قدره لسبب ؛ والذى قدر الشر قدر لدفعه سبباً ، فلا تناقض فى هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ا.هـ

ثمرة الدعاء :

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تعجزوا فى الدعاء ، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد »[1] .

---

(١) رواه ابن حبان والحاكم .

وعن أبي سعيد الخدرى ، رضى الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :

« ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث :

إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له فى الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها » .

قالوا : إذاً نكثر؟

قال : « الله أكثر »(١)

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل»(٢) .

استجابة الدعاء :

عن سلمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«إن الله حيٌّ كريم يستحى إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين»(٣) .

فإذا أردت الاستجابة فابدأ :

١ – بالتوبة الخالصة النصوح :

---

(١) رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ، والحاكم .

(٢) رواه أبو داود والترمذى والحاكم (٣) رواه أبو داود والترمذى ، وحسنه .

٢ – وتحر الحلال .

فعن ابن عباس ، فيما أخرجه الحافظ ابن مردويه قال : تليت هذه الآية عند النبى ، ﷺ :

﴿ يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً ﴾ فقام سعد بن أبى وقاص فقال :

يارسول الله ، ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة . فقال :

« ياسعد ، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً . وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به » .

ويقول الشاذلى رضى الله عنه :

إذا أردت أن يستجاب لك أسرع من لمح البصر فعليك بخمسة أشياء :

١ – الامتثال للأمر . ٢ – والاجتناب للنهى . ٣ – وتطهير السر .

٤ – وجمع الهمة . ٥ – والاضطرار . وخذ ذلك من قوله :

﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإلَهٌ مع الله . قليلا ما تذكرون ﴾ .

فالمحروم من يدعوه وقلبه مشغول بغيره .

فاحذر هذا الباب جداً . فإن لم تستطع أن تتصف بخمسة الأشياء ، فعليك بالخلوة عن الناس . واذكر ما شاء الله من قبائحك وأفعالك ،

واحتقر جميع أعمالك ، وقدم إليه ما علمته من جميل ستره عليك وقل :

« يا ألله يامنان ياكريم ، ياذا الفضل ، من لهذا العبد العاصى غيرك وقد عجز عن النهوض إلى مرضاتك ، وقطعته الشهوة عن الدخول فى طاعتك ، ولم يبق له حبل يتمسك به سوى توحيدك ، وكيف يجترئ على السؤال من هو معرض عنك ، أم كيف لا يسأل من هو محتاج إليك ، وقد مننت علىّ الآن بالسؤال منك ، وجعلت حسبى الرجاء فيك ، فلا تردنى خائباً من رحمتك ياكريم ، وقد جعلت لأسمائك حرمة ، فمن دعاك بها لا يشرك بك شيئاً أجبته ، فبحرمة أسمائك يا ألله يا ملك يا قدوس ، يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا عزيز يا جبار يا متكبر ، يا خالق يا بارئ يا مصور ، قنى من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل والشك وسوء الظن ، وضلع الدين ، وغلبته ، وقهر الرجال ، فإن لك الأسماء الحسنى ، وقد سبح لك ما فى السموات والأرض ، وأنت العزيز الحكيم .

اللهم إنى أسألك خيرات الدنيا وخيرات الدين ، خيرات الدنيا بالأمن والرفق والصحة والعافية ، وخيرات الدين بالطاعة لك والتوكل عليك ، والرضا بقضائك والشكر على آلائك ونعمك إنك على كل شىء قدير » ا . هـ .

وروى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال :

لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل . قيل : يا رسول الله ، ما الاستعجال ؟ قال : يقول : قد دعوت ، وقد دعوت فلم أر يستجيب لى ، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء[1] .

الدعاء فى الرخاء :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ، ﷺ قال :

« من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر من الدعاء فى الرخاء »[2] .

دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب :

عن أبى الدرداء رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك : ولك بمثل »[3] .

وعنه أن رسول الله ﷺ كان يقول :

دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل : « آمين ولك بمثل »[4] .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الترمذى والحاكم .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم .

وعن صفوان بن عبد الله – فيما رواه الإمام مسلم – قال :

قدمت الشام ، فأتيت أبا الدرداء فى منزله ، فلم أجده ، ووجدت أم الدرداء فقالت : أتريد الحج العام ؟

فقلت : نعم .

فقالت : ادع لنا بخير ، فإن رسول الله ﷺ كان يقول :

« دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب[1] مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل : آمين ولك بمثل » .

قال : فخرجت إلى السوق فلقيت أبا الدرداء ، فقال لى مثل ذلك يرويه عن النبى ﷺ .

ثلاثة لا ترد دعوتهم :

روى الترمذى وحسنه أن النبى ﷺ قال :

« ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » .

دعوات مستجابات :

روى الإمام أحمد والترمذى وحسنه ، أن النبى ﷺ قال :

---

(١) أى فى حالة غيبة أخيه .

ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن :
« دعوة الوالد ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم » .

العزم فى الدعاء :

وعن أبى هريرة – فيما رواه الإمام مسلم – قال :

قال النبى ﷺ : « لا يقولن أحدكم ، اللهم اغفر لى إن شئت ، اللهم ارحمنى إن شئت ، ليعزم فى الدعاء ، فإن الله صانع ما شاء لا مكره له » .

مسح الوجه باليدين بعد رفعهما فى الدعاء :

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه – فيما رواه الترمذى – قال :

« كان رسول الله ﷺ ، إذا رفع يديه فى الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه » .

أوقات الدعاء وأماكنه :

الدعاء يصح فى كل وقت ، بيد أن هناك أوقاتاً وأماكن أرجى فى قبول الدعاء من غيرها . وقد ذكر رسول الله ﷺ ، أوقاتاً للدعاء منها : ثلث الليل الأخير . يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول :

من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ » رواه البخارى .

ولقد سئل رسول الله ﷺ ، عن : أى الدعاء أسمع ؟ فقال : « جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبة » . رواه الترمذى وحسنه .

وروى مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا من الدعاء » .

ونقل البيهقى فى السنن الكبرى عن الإمام الشافعى ، أنه قال : بلغنا أنه كان يقال :

« إن الدعاء يستجاب فى خمس ليال ، فى ليلة الجمعة . وليلة الأضحى ، وليلة الفطر . وأول ليلة من رجب . وليلة النصف من شعبان » .

وعن سهل بن سعد - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« ساعتان لا ترد على داع دعوته : حين تقام الصلاة ، وفى الصف فى سبيل الله » رواه ابن حبان فى صحيحه .

أما الأماكن الطاهرة المباركة فإن أشرفها الحرم المكى والحرم المدنى ، والمسجد الأقصى .

ويذكر الإمام الغزالى آداباً للدعاء منها :

أن يترصد الداعى لدعائه الأوقات الشريفة : كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل ، قال تعالى :

﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ .

وقال ﷺ :

« ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول عز وجل :

من يدعونى فأستجيب له ؟

من يسألنى فأعطيه ؟

من يستغفرنى فأغفر له ؟ »[1]

ومنها أن يغتنم الأحوال الشريفة ، قال أبو هريرة رضى الله عنه :

« إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله ، وعند نزول الغيث ، وعند إقامة الصلوات المكتوبة ، فاغتنموا الدعاء فيها » .

وقال مجاهد :

« إن الصلاة جعلت فى خير الساعات ، فعليكم بالدعاء خلف الصلوات » .

وقال ﷺ :

« الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد »[2] .

---

(١) رواه الشيخان.　　(٢) رواه الحاكم وصححه.

وقال ﷺ أيضاً :

« الصائم لا ترد دعوته »[1] .

ويتابع الإمام الغزالى حديثه فيقول :

وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً ، إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه ، وفراغه من المشوشات . ويوم عرفة ، ويوم الجمعة ، وقت اجتماع الهمم ، وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل .

فهذا أحد أسباب شرف الأوقات ، سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها ، وحالة السجود أيضاً أجدر بالإجابة ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال النبى ﷺ :

« أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد ، فأكثروا فيه من الدعاء »[2] .

وروى ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال :

« إنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً ، وساجداً ، فأما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فقمن أن يستجاب لكم »[3] .

---

(١) رواه الترمذى وحسنه . (٣) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

الفصل الثالث

من أجواء الدعاء

الجو الآدمى

ونريد بالجو الآدمى : جو سيدنا آدم . . ونعنى بذلك : «جو التوبة» . .

لقد قال الله سبحانه وتعالى لآدم :

﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ . .

وأباح الله لهما أن يستمتعا فيها بما شاءا ، من روح وريحان ، ومن فاكهة وأزهار . . وضمن الله له ألاّ يجوع فيها ولا يعرى : أى لا يتألم باطنه بالجوع . . ولا ظاهره بالعرى . . وضمن له أن لا يظمأ فيها ولا يضحى : — أى لا يتألم من حر الظمأ فى الباطن ، ولا من حر الشمس على ظاهره . .

ولكن الله سبحانه وتعالى حدد لهما شجرة معينة ، وأمرهما ألاّ يقرباها . .

وما من شك فى أن عالم الإطلاق ، إنما هو عالم الألوهية . . أمّا عالم الإنسان فإنه عالم الحدود والقيود . .

بيد أن حدود الإنسان الدينية ، وتكاليفه التى أوجبها الله عليه ، إنما هى حدود من أجل رقيه وكماله . . وكلما التزم الإنسان ما أحبه الله منه ، كلما كان سائراً نحو الكمال والصفاء والطهر . .

وأنه لمن المعروف أن آدم وهو سائر على ما أحب الله من الامتناع عن الأكل من الشجرة ، كان ينعم هو وزوجته ، بطمأنينة النفس ، وراحة البال ، وهدوء الضمير ، كما ينعم بذلك أصحاب الضمائر النقية ، والسرائر الصافية . .

لقد كان يقضى حياته ناعماً بسعادة البراءة ، وسكينة الأطهار مع رفيقة حياته . . وأصحاب هذه الحياة – حياة البراءة – لا يرون عورة ، ولا يحسون بالخجل يغمرهم من أجل سيئة . .

أترى الطفل يحس بذلك ؟

إنهم وهم فى براءة الأطفال ، لا يشعرون بخزى ، ولا ينوء ضميرهم بتأنيب . . وكان آدم وحواء على ذلك ، حتى وسوس إليهما إبليس . . لقد وسوس إليهما حتى يخرجها عن براءة الطهر ، ونقاء العصمة ، فيريا ما لم يكن قد أتيح لها رؤيته من الشر والقبح ، والعورات والسوءات . . وحتى يشعرا بما لم يتأتّ لهما الشعور به من قبل ، من تأنيب ومن شقاء بالمعصية . .

وإن صاحب السيرة السيئة معنى أبداً بأن يجر الآخرين إلى مستواه . . وأن ينزل بهم إلى حضيضه ، وأن يهوى بهم إلى مزالقه . .

لقد وسوس إليهما الشيطان آتياً من جانب الضعف فى الإنسان ، وهو حب الخلود ، وحب الملك ، وقال لهما متسائلاً مستفسراً متجهاً لآدم : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ . . وأتى لهما فى صورة

الناصح : وأقسم لهما على إخلاصه وصدقه ونصحه ، فصدّقاه ..

صدقاه أولاً لأنهما فى براءتهما اعتقدا إخلاصه ونصحه ، وصدقاه لأن ميولهما كانت إلى الخلود والملك ، كميول الأفراد من بنى جنسهم . .

وأكلا من الشجرة المنهى عنها ، وزالت عنهما مباشرة براءة العصمة ، وسكينة الطهر . . وأحسا مباشرة بشقاء المعصية ، وعذاب الإثم . .

ويقول الله تعالى معبراً عن ذلك :

﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾[1] .

وكان هذا أول نجاح لإبليس فى عالم الإنسان . . بيد أن نجاحه انقلب إخفاقاً . . وإذا كان قد فرح بنجاحه ، فإن فرحه لم يطل .

لقد حل بآدم وحواء الشقاء بسبب أكلهما من الشجرة – وأخذ آدم يجرى فى الجنة من مكان إلى مكان بائساً حزيناً . . وهو أينما حل يسمع النداء الإلهى يتردد فى جنبات الجنة ، ويخترق أذنيه رهيباً مدوياً :

﴿ألم أنهكما عن تلكما الشجرة . وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾[2] .

ويجرى آدم فى الجنة ، وتتعلق بشعره الأشجار أو يتعلق شعره بها . . ولكنه يسمع النداء الإلهى من جديد :

---

(١) الأعراف آية : ٢٢ .

(٢) الأعراف آية : ٢٢ .

« أفرازاً مني يا آدم ؟ » .

فيقول في خجل وحزن :

« بل حياء منك يا رب » .

لقد شقي آدم بالمعصية ، وكذلك يشقى كل عاص بسبب ما اقترف من الإثم . . .

روى الترمذي أن النبي ﷺ قال :

« لا تصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب . . وما يعفو الله عنه أكثر ، ثم قرأ » :

﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾

وروى الطبري وابن عساكر أن النبي ﷺ قال :

« والذي نفسي بيده . . ما من خدش ، ولا عثرة قدم ، ولا اختلاج عرق إلا بذنب . . وما يعفو الله عنه أكثر » .

ومن الرموز الجميلة في قصة آدم ، ما رواه ابن عساكر عن مجاهد قال :

« أمر الله ملكين أن يخرجا آدم وحواء من جواره . . فنزع جبريل التاج عن رأسه ، وحل ميكائيل الإكليل عن جبينه . . وتعلق غصن ، فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة . . فنكس رأسه يقول : العفو ، العفو . . فقال الله :

أفراراً مني ؟ . . قال : بل حياء منك يا سيدي . .

ولجأ آدم إلى الله مستغفراً ، نادماً ، منيباً . . فلما كان كذلك تاب الله عليه . .

يقول سبحانه :

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، إنه هو التواب الرحيم﴾ .

أما هذه الكلمات التى اتجه بها آدم إلى الله ، فكانت نتيجتها توبة الله عليه ، فهى :

﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ .

وقد رويت فى ذلك كلمات لا تخرج عن هذا المعنى ، منها ما قاله مجاهد :

« الكلمات هى : اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك وبحمدك . . رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى إنك خير الراحمين . . اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك . . رب إنى ظلمت نفسى فتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم » .

لقد كانت النتيجة لالتجاء آدم إلى الله هى ما عبر الله عنه بقوله :

﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ . .

وإنه لقانون إسلامى عام ، أن من ارتكب المعصية ثم رجع إلى الله فى إخلاص وصدق ، فإن الله سبحانه وتعالى يفتح له أبواب توبته . .

جو نوح عليه السلام

ونقصد بجو نوح عليه السلام : جو الاستغفار وجو الشكر.

لقد أخذ سيدنا نوح يدعو إلى التوحيد ، فى همة لا تفتر ، وفى نشاط لا يتوانى ، أخذ يدعو ليلاً ونهاراً ، وأخذ يدعو جهراً حينما تتيح له الظروف الدعوة الجهرية ، ويدعو سراً حينما يستلزم الأمر الدعوة سراً . .

لم يكن يدع فرصة تمر إلا ويشرح فيها رسالة الله : مبشراً ونذيراً ، مرغباً فى ثواب الله وجنته ، ومخوفاً من عقابه وعذابه . .

لقد أخذ يشرح لهم قدرته ، وشمول علمه ، قائلاً :

ألا ترون أنه خلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق . . لقد كنتم تراباً ، ثم نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم كنتم أجنة . . وكنتم فى جميع هذه الأطوار فى رعاية الله . . محفوظين بحفظه ، محاطين بعنايته . . وبعد ذلك كنتم أطفالاً ، فشباباً ، وهكذا . . وستعودون إليه من جديد فى أية لحظة شاء . . فارجعوا إليه بالتوبة والإنابة والطاعة ، قبل أن تواجهوه وهو عنكم غير راض . . ثم ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً ، وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً ؟ . . ثم ألم تروا كيف جعل لكم الأرض بساطاً ، وجعل لكم فيها مسالك وسبلاً

للإقامة والانتفاع ؟ . . وفى كل ذلك ما ترى فى خلق الرحمٰن من تفاوت . .

وأخذ سيدنا نوح يعدد نعم الله ، منبهاً إلى اليسير منها والعظيم ، الظاهر منها والباطن . . ونعم الله كثيرة لا تحصى . .

﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ .

ثم أعلن لهم قانون « الاستغفار » . . وسيدنا نوح أول من أعلن هذا القانون :

﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾ .

هذه هى مقدمة القانون . . أو قاعدته وأساسه . .

فإذا ماكان الاستغفار الخالص النصوح . . إذا ماكان الالتجاء إلى الله بطلب المغفرة فى صدق كانت النتيجة . .

والنتيجة هى :

﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ . . أى . . ينزل الغيث المحيى لأرضكم الجدباء ، والذى يملأ أنهاركم الجارية بالخير والنماء . .

وماذا يترتب على الاستغفار أيضاً ؟ . .

﴿ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ .

إن الإمداد بالأموال والبنين – وقد أتى بهما القرآن بصيغة الجمع – مترتب على الاستغفار . .

وإن هية الجنات والأنهار – وقد أتى بهما القرآن بصيغة الجمع أيضاً – مترتبة على الاستغفار . .

هذا هو قانون الاستغفار الذى أعلنه سيدنا نوح عليه السلام .

وهذا القانون قانون عام لا يحدده زمن ولا يحده مكان . . فمن التجأ إلى الله فى العصر الحاضر بالاستغفار الخالص النصوح الصادق . . فإن الله سبحانه يهيىء له من الظروف ما يجعله يعيش فى سعة من الرزق ، وفى يسار من المال . .

إنه وعد الله الذى أوحاه إلى رسوله نوح ليعلنه للناس . . ووعد الله لا يتخلف . .

ولقد أوضح رسولنا ﷺ – فيما بعد – زاوية مهمة من زوايا قانون الاستغفار . . وهى عدم وقوع العذاب على المستغفر . . يقول تعالى :

﴿وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ .

* * *

سارت سفينة نوح – باسم الله مجريها ومرساها . . وسارت فى موج كالجبال . . ترافقها عناية الله فى سيرها . . فلم يحدث لها ما يسىء . .

ولقد كانت عناية الله ورعايته ترافق نوحاً فى كل خطواته . . ففى صنع السفينة يقول الله تعالى له :

﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ .. أى على مرأى منا ، وبإرشادنا فى كل الخطوات .. فعناية الله كانت ترافقه فى بناء السفينة ..

ويقول الله سبحانه وتعالى عن سير السفينة : ﴿تجرى بأعيننا﴾ . . .
أى أن سيرها كان فى مجال الرعاية الإلهية ، والملاحظة الربانية . .
ولم تترك السفينة للعواصف تلعب بها ، ولا للأعاصير تدمرها . .

هذه الرعاية والعناية كان يرافقها ويقابلها من نوح عليه السلام وصفان ، ذكرهما الله سبحانه وتعالى بقوله :

﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ . .

لقد حقق نوح عليه السلام العبودية لله سبحانه . . والعبودية لله سبحانة أشرف ما يوصف به الإنسان بالنسبة لله سبحانه . . وإن من حققها فقد حقق الهدف الذى من أجله خلق الله الإنسان . . بل الجان . . يقول سبحانه :

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ . . أى ليتحققوا بالعبودية . . فإذا ما تحققوا بها كفاهم الله كل ما أهمهم . .

ألا ترى إلى التعبير القرآنى كيف استعمل كلمة «عبد» . . وقال :

﴿أليس الله بكاف عبده﴾ . .

لقد تحقق نوح عليه السلام بالعبودية لله . .

ومن أجمل مظاهر العبودية الشكر لله تعالى .

ولم يكن نوح عليه السلام عبداً شاكراً ، وإنما كان عبداً شكوراً . . ذلك أن الشكور أبلغ فى الشكر من الشاكر . . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وقليل من عبادى الشكور﴾ . .

ولقد كان من مظاهر شكر نوح لله سبحانه وتعالى كثرة صيامه . .

روى ابن ماجة عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت الرسول ﷺ يقول :

« صام نوح الدهر إلا يوم الفطر والأضحى . . وصام داود نصف الدهر ، وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر . . صام الدهر ، وأفطر الدهر » .

ومعنى قول الرسول - ﷺ - عن إبراهيم عليه السلام :

« صام الدهر وأفطر الدهر » . . أنه ما دامت الحسنة بعشر أمثالها ، فصوم يوم إنما هو بمثابة صوم عشرة أيام . . وصوم ثلاثة أيام من كل شهر إنما هو بمثابة صوم كل الشهر . . فكأن إبراهيم عليه السلام قد صام الدهر كله . .

ومع ذلك : فإنه لم يصم من كل شهر إلا ثلاثة أيام . . وهى أيام قليلة فكأنه قد أفطر الدهر كله . .

ولقد كافأ الله نوحاً بحسن عبادته ، وكثرة صيامه وشكره ، فأنجاه ومن معه فى السفينة .

جو التسبيح أو الجو اليونسى

إن الله سبحانه وتعالى حدثنا فى القرآن عن جو التسبيح . . وإن المسبِّح لله سبحانه وتعالى يحظى بعناية الله به ، فيخرجه سبحانه من الضيق ، ويفرج عنه الكرب . .

والمسألة واضحة كل الوضوح فيما يتعلق بذى النون عليه السلام . .

روى الإمام البخارى أن رسول الله ﷺ قال :

« لا ينبغى لأحد أن يقول : « أنا خير من يونس بن متّى » . .

ويونس بن متّى ، هو صاحب الدعوة المشهورة التى يقول عنها رسول الله ﷺ :

« لم يدع مسلم ربه فى شىء قط إلا استجاب له » . .

وهذه الدعوة هى :

﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾ . .

وهى دعوة تبدأ بالتوحيد الخالص ، يتمثل فى قوله تعالى : « لا إله إلا أنت » .

وتثنى بالتنزيه . . تنزيه الله عن كل ما يتنافى مع الكمال . . وذلك يتمثل فى قوله « سبحانك » . . ثم تنتهى بالاعتراف الخاشع المتمثل فى قوله : « إنى كنت من الظالمين » .

وهذه الكلمات القليلة التى يتمثل فيها الإيجاز المعجز فى اللفظ ، والتى يتمثل فيها السمو السامى فى المعنى . . لا تطلب شيئاً فى صراحة ، ولا تنادى بشىء بأسلوب مباشر . . ولكنها مع ذلك مفعمة بالطلب ، مفعمة بالاستغاثة . .

لقد دعا بها سيدنا يونس وهو فى بطن الحوت ، ويحسن أن نبدأ القصة من أولها :

لقد أرسل الله سيدنا يونس – عليه السلام – إلى أهل « نينوى » من أرض الموصل . . وكان سيدنا يونس – ككل الأنبياء – متحمساً لدعوته ، قائماً بها فى الصباح والمساء ، وكلما استطاع إلى ذلك سبيلاً . . ومتخذاً لها كل الوسائل التى فى إمكانه لتنتشر وتعم . .

ولكن قومه قابلوا تحمسه بفتور ، وقابلوا دعوته إلى الإيمان بالكفر الأصم . . وقابلوا عنايته بعناد لا يلين . .

وإذا كان سيدنا نوح – فى مثل هذا الموقف الذى لا بارقة من أمل فى إصلاحه – دعا على قومه قائلاً :

﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً ﴾ . .

فإن سيدنا يونس رأى أن لا فائدة فى المكث بينهم ، فأنذرهم بحلول العذاب بهم بعد ثلاثة أيام ، وخرج من بينهم معلناً أنه يخرج من أجل النجاة من عذاب الله ، الذى يوشك أن يحل بهم لكفرهم وطغيانهم . .

وغادر المدينة متعمداً أن يكون ذلك على مرأى ومشهد من أهلها . .

وما إن فارقهم نبي الله ، حتى بدأ الخوف ، بل الرعب ، يدب إلى قلوبهم ، ويتغلغل فى نفوسهم . .

ولقد أخذت ذاكرتهم فى إلقاء الضوء على صدقه وأمانته ، وعلى فضائله ومكارم أخلاقه ، وعلى أنه لم يعهد عليه الكذب ولا الخديعة . . وترجح عندهم صدقه . . ثم أيقنوا بهذا الصدق ، وتأكدوا أن العذاب لا محالة نازل بهم . . وأخذ خيالهم يصور لهم العذاب وألوانه وفجائعه ، فاجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم ، وانتهوا إلى اتفاق عام . . هذا الاتفاق العام صوره أسلافنا فى صورة أخاذة ، يرويها الإمام ابن كثير على الوضع التالى :

قال ابن مسعود ومجاهد وسعيد ابن جبير وقتادة وغير واحد من السلف والخلف :

فلما خرج من بين ظهرانيهم ، وتحققوا نزول العذاب بهم . . قذف الله فى قلوبهم التوبة والإنابة ، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم . . فلبسوا المسوح ، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها . . ثم عجوا إلى الله عز وجل وصرخوا ، وتقربوا إليه ، وتمسكنوا لديه . . وبكى الرجال والنساء ، والبنون والبنات والأمهات . . وجأرت الأنعام والدواب والمواشى ، ورغت الإبل وفصلانها . . وخارت البقر وأولادها . . وثغت الغنم وحملانها . . وكانت ساعة عظيمة هائلة . .

وهذه هى الصورة التى رسمها أسلافنا – فماذا كان من أمره ، وماذا كان بعد أمرهم ؟ . .

فارق يونس عليه السلام قومه ، بعد أن أنذرهم بعذاب مدمر . . فتضرعوا إلى الله – سبحانه – بالتوبة والإنابة والاستغفار ، مقدمين بين يدى ذلك كله الإيمان الصادق . . فكانت ثمرة ذلك نجاتهم التى صورها الله بقوله :

﴿ إلاّ قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ .

وهذا الذى صنعه الله بهم ، يساير نواميس الله سبحانه التى سنها نظاماً عاماً للبشرية ، وهى أن عذاب الله – سبحانه – يتزل على الأفراد أو على المجتمعات بنسبة بعدهم عن الإيمان ؛ وأن رحمته تغمر الأفراد والمجتمعات بنسبة قربهم من الإيمان . . والنجاة دائماً مكفولة فى نواميس الله للمؤمنين الصادقين . .

أما يونس عليه السلام فإنه لما ضاق بقومه ذرعاً ، فارقهم مغاضباً منذراً بالعذاب . .

ولم تكن هذه المفارقة عن استئذان من الله سبحانه ، أو عن أمر منه . . وإنما ظن هو أن هذا فى شريعة الله ، أوسع من أن يحتاج إلى إذن ، وأنه غير مضيق عليه من قبل الله فى المكث أو فى المفارقة . . أى أنه فى مجال المباح . .

وعزب عن ذهنه فى ساعة مغاضبته لقومه ، أن المفارقة بدون استئذان إذا جازت بالنسبة للأفراد العاديين ، فإنها لا تجوز بالنسبة لمن يصطفيهم الله للعبودية الخالصة ، ومن يجتبيهم مرسلين من قبله . .

إن هؤلاء لا يتحركون إلا به ، ولا يسكنون إلا عن أمره . . وهم فى كل ما يأتون وما يدعون ، قد ألقوا بمقاليد أمورهم بين يديه ، يصرفهم حسبما يشاء . .

ولعل ذلك هو ما تعنيه الكلمة القرآنية الكريمة فى قوله تعالى :

﴿ فاصبر لحكم ربك ، ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ . .

وصاحب الحوت هو سيدنا يونس الذى لم يصبر على كفر قومه وعنادهم ، ففارقهم عن غير إذن من الله . . فكان من تقدير الله سبحانه أن وصل يونس عليه السلام إلى شاطئ البحر ، وركب مركباً مشحوناً ثقيل الحمولة . . وهبت ريح جعلت المركب على حافة الغرق بمن فيها . . فكان لابد من تخفيف حمولتها حتى يستقيم أمرها . .

واستهم الركاب على من يلقون به فى البحر تخفيفاً للحمولة ، فوقعت القرعة على يونس – عليه السلام – فألقوه فى البحر . .

ولما ألقوه فى البحر ، ابتلعه حوت كبير . . وفجأة رأى سيدنا يونس نفسه فى بطن الحوت . . فأسرع مستغيثاً :

﴿ فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾ .

روى يزيد الرقاشي قال : سمعت أنس بن مالك – ولا أعلم إلا أن أنساً يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ – يقول :

« إن يونس النبي – عليه السلام – حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت ، قال : اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك إنى كنت من الظالمين . . فأقبلت هذه الدعوة تحت العرش . . فقالت الملائكة : يا رب ! . . صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة . . فقال : أما تعرفون ذاك ؟ . . قالوا : لا . . يا رب . . ومن هو ؟ . . قال : عبدى يونس . . قالوا : عبدك يونس الذى لم يزل يُرفع له عمل متقبَّل ، ودعوة مجابة ؟ . . قال : بلى . . قالوا : يا ربنا ! . . أو لا ترحم ما كان يصنعه فى الرخاء ، فتنجيه من البلاء ؟ . . قال : بلى . . فأمر الحوت فطرحه فى العراء » . .

أما إذا انتفى التسبيح

وقصة أخرى قصها الله سبحانه فى كتابه الكريم ، هى قصة أصحاب الجنة . . وجنتهم هى – كما يقول الإمام الصاوى – بستان باليمن يقال له الصروان دون صنعاء بفرسخين . . وكان صاحبه ينادى الفقراء وقت الجذاذ[1] ، ويترك لهم ما أخطأ المنجل من الزرع ، أو ألقته

(١) أى الحصاد

الريح ، أو بعد عن البساط الذى يبسط تحت النخل . . وكان يجتمع لهم من ذلك شيء كثير . . فلما مات ورثه بنوه ، وكانوا ثلاثة . . وشحوا بذلك . . وقالوا : إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ، ونحن ذو عيال . . فحلفوا على أن يجذوه قبل الشمس حتى لا تأتى الفقراء إلا بعد فراغهم . . وكانت قصتهم بعد عيسى ابن مريم بزمن يسير . .

لقد أقسموا على قطع ثمارها فى الصباح الباكر ، كيلا يشعر بهم أحد . . وقبل الصباح الباكر . . طاف عليها طائف من ربك فجعلها كالليل الشديد الظلمة . . فلما رأوها قالوا إنا لضالون مكانها ، فليست هذه جنتنا . . ولكنها جنتهم وليس فيها ثمر ناضج . . وكان قولهم : بل نحن محرومون من ثمارها بمنعنا الفقراء منها . .

فقال أوسطهم - وهذا هو ما نريد أن ننبه إليه - ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون ؟﴾ . .

ولو كانوا قد أطاعوه وسبحوا الله سبحانه وتعالى ، لرقت قلوبهم فامتنعوا عما جال فى أذهانهم من منع الفقراء وحرمانهم ، فنجوا من الفقر ، ونجت حديقتهم من الدمار . .

والتسبيح - فضلاً عن ذلك - سبب فى الرضا والسكينة . . رضا النفس وسكينتها . . يقول تعالى :

﴿فاصبر على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس

وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبّح وأطراف النهار ، لعلك ترضى﴾[1] .

على أنه قد وردت الآثار أن التسبيح من العناصر التى هى من أسباب الرزق . .

عن سليمان بن يسار - رضى الله عنه - عن رجل من الأنصار ، أن النبى ﷺ قال : قال نوح لابنه :

« إنى موصيك بوصية وقاصرها لكيلا تنساها . . أوصيك باثنتين ، وأنهاك عن اثنتين . : أما اللتان أوصيك بهما ، فيستبشر الله بهما وصالح خلقه . . وهما يكثران الولوج على الأرض . . أوصيك بلا إله إلا الله ، فإن السموات والأرض لوكانتا حلقة قصمتها ، ولوكانتا فى كفة وزنتها . . وأوصيك بسبحان الله وبحمده ، فإنهما صلاة الخلق ، وبهما يرزق الخلق . . وإن من شىء إلا يسبّح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليماً غفوراً . .

وأما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله منهما وصالح خلقه : أنهاك عن الشر والكبر»[2] .

---

(١) سورة طه : ١٣٠ .

(٢) النسائى والبزار وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

الفصل الرابع

دعاء الأطهار

من دعاء الأطهار : الملائكة

والأطهار الذين نعنيهم : هم الأنبياء والرسل ، وهم الملائكة . وهم الصديقون ، وهم المقربون على وجه العموم . .

ونأخذ من بين هؤلاء :

أولاً : الملائكة :

إنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

وهم على هذا الوضع من المعصومين ، وطبيعتهم الجسمانية من النور . .

روى الإمام مسلم ، عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ :

« خلقت الملائكة من نور » .

أما عن عملهم ، فإن الله سبحانه أقامهم فى أعمال يقومون بها ، ويتصرفون فيها بإذنه ، فمنهم حملة العرش . . ومن الطريف أن حملة العرش مع قيامهم بمهمتهم ، فإنهم لا يفترون عن التسبيح بحمد ربهم . . « ويؤمنون به » أى يترقى إيمانهم به فى كل لحظة تمر بسبب تسبيحهم بحمده المستمر . . ولا ريب أن الذكر سواء كان من الملائكة أم من بنى البشر ، قد جعله الله سبحانه سبباً فى زيادة الإيمان ورقيه . .

ثم إن حملة العرش هؤلاء – فضلاً عن كل ذلك – يستغفرون للذين آمنوا من بنى البشر ومن غيرهم . . ومن الطريف أنهم يعللون طلبهم للمغفرة ، بأن الله سبحانه قد وسعت رحمته كل شىء . . ووسع علمه كل شىء . . ويلجأون إلى الله بالدعاء ، والضراعة . . طالبين منه المغفرة لكل من تاب ، واتبع الطريق الذى بينه الله ليسير فيه المؤمنون ، ويلجأون إلى الله أيضاً بالضراعة ، طالبين منه سبحانه أن يجنب التائبين المتبعين طريق الهدى ، عذاب جهنم . . وأن يدخلهم جنات عدن التى وعدهم ، وأن يقيهم السيئات . .

والآيات القرآنية التى ذكرت ذلك فى غاية الجمال أسلوباً ومعنى . . يقول تعالى :

﴿ الذين يحملون العرش ، ومن حوله ، يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم ﴾ . .

وإذا تأملنا فى هذا الدعاء ، فإننا نرى الدقة البالغة فى كل كلمة فيه :

إنهم يسبحون بحمد ربهم على نعمه الجزيلة التى منحهم إياها . .

وأسمى هذه النعم . . هذه الطبيعة المعصومة التى لا تغضب الله قط . .
إنهم باستمرار فى مرضاة من الله سبحانه . .

وهم يستغفرون للذين آمنوا . . إنهم لا يستغفرون لأهل الشرك ، ولا للملاحدة ، ولا للكفار على وجه العموم . .

ويلجأون فى هذا الاستغفار إلى الله تعالى بذكر صفة من صفاته ، هى الرحمة . . ثم يخصصون الذين تابوا من بين المؤمنين . . ﴿فاغفر للذين تابوا﴾ . .

وقد يتوب الإنسان ، وينتكس مباشرة . . إنهم ينفون فى استغفارهم هذا الفريق . . وإنما يستغفرون للذين صدقوا فى توبتهم . .

وإذا صدقت التوبة استتبعت العمل : «واتبعوا سبيلك» . .

ولم يطلبوا المغفرة فحسب ، وإنما سألوا أن يقيهم الله سبحانه وتعالى عذاب الجحيم . . وليس ذلك فقط . . وإنما كان رجاؤهم فى الله سبحانه وتعالى أن يدخلهم جنات عدن التى وعدهم ، وأن يدخل معهم من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم . . وكلمة «صلح» هنا لها مغزاها فى المقام أيضاً :

إنهم لم يسألوا الله سبحانه أن يدخل الجنة الآباء والأزواج والذريات على أى وضع كان ، وإنما خصصوا من صلح منهم . . ثم سألوا الله سبحانه – فى النهاية – أن يقى هؤلاء الذين تابوا واتبعوا سبيل الله ، ومن صلح من أقربائهم معهم.. أن يقيهم السيئات فى مستقبل حياتهم .

وتختم الآيات بقوله تعالى : ﴿ وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

ثانياً : وعلى نمط دعاء الملائكة يتحدث القرآن عن سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ويذكر أنه كان من دعائه :

﴿ رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ، ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفر لى ولوالدىّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ (١) .

ويذكرُ رسولَ الله ﷺ ويأمره قائلا :

﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ (٢) .

ويتحدث عن طائفة من المؤمنين ، فيذكر أن من دعائهم أنهم يقولون :

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ (٣) .

ثالثاً : ولقد وجه الرسول ﷺ المؤمنين إلى أن يدعو بعضهم لبعض بظهر الغيب :

فعن أبى الدرداء — رضى الله عنه — أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب ، إلا قال الملك : ولك بمثل » (٤) .

---

(١) إبراهيم : ٤٠ ، ٤١ .

(٢) محمد : آية : ١٩ .

(٣) الحشر آية : ١٠ .

(٤) رواه مسلم .

وعنه أن رسول الله ﷺ كان يقول :

« دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة . . عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكل به : آمين . . ولك بمثل »[1] .

من دعاء الأطهار : الدعاء فى القرآن الكريم

سورة الفاتحة :

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾

سورة البقرة :

﴿ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرةً ، قالوا أتتخذنا هزواً ، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ .

﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال إنى جاعلك للناس إماماً ، قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين .

وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود .

---

(١) رواه مسلم .

وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ .

﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾ .

﴿ ومنهم من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا حسنةً وفى الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار﴾ .

﴿ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .

سورة آل عمران :

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب﴾ .

﴿فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى – والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ .

﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذريةً طيبة إنك سميع الدعاء﴾ .

﴿قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ .

﴿وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ .

﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض : ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار . ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار .

ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾ .

سورة النساء :

﴿ الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليًّا واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾ .

سورة المائدة :

﴿ قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ .

﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ .

﴿ قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدةً من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآيةً منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴾ .

سورة الأعراف :

﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ . (آية ٢٣)

﴿ وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ . (آية ٤٧)

﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾ . (آية ٨٩)

﴿ وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ﴾ . (آية ١٢٦)

﴿ قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴾ . (آية ١٥١)

﴿ فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ . (آية ١٥٥)

سورة يونس :

﴿ فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنةً للقوم الظالمين. ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ . (آية ٨٥ ، ٨٦) .

﴿ وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينةً وأموالاً فى الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ . (آية : ٨٨) .

سورة هود :

﴿قال رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين﴾ . (آية : ٤٧)

سورة يوسف :

﴿رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليّ فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين﴾. (آية : ١٠١)

سورة إبراهيم :

﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام﴾ . (آية : ٣٥)

﴿رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء﴾ . (آية : ٤٠)

﴿ربنا اغفر لى ولوالدىّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾. (آية : ٤١)

سورة الكهف :

﴿ إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً ﴾ . (آية : ١٠)

سورة طه :

﴿ قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى ﴾ . (آيات : ٢٥ : ٢٨)

﴿ فتعالى الله الملك الحق ، ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ، وقل رب زدنى علماً ﴾ . (آية : ١١٤)

سورة الأنبياء :

﴿ وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وءاتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾ . (آية : ٨٣ ، ٨٤)

﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين ﴾ (آية : ٨٧ : ٨٨)

﴿ وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين *

فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ .
(آية : ٨٩ ، ٩٠)

سورة المؤمنون :

﴿ قال رب انصرنى بما كذبون ﴾ . (آية : ٢٦)

﴿ وقل رب أنزلنى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ﴾ .
(آية : ٢٩)

﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ . (آية : ٩٧ ، ٩٨)

﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يقولونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ . (آية : ١٠٩)

﴿ وَقُلْ رَب اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِين ﴾ (آية : ١١٨)

سورة الفرقان :

﴿ وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾ .
(آية : ٣٠)

﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان

غراماً ، إنها ساءت مستقرًّا ومقاماً﴾ . (آية : ٦٥ ، ٦٦)

﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً﴾ . (آية : ٧٤)

سورة الشعراء :

﴿رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين .
واجعل لى لسان صدق فى الآخرين .
واجعلنى من ورثة جنة النعيم .
واغفر لأبى إنه كان من الضالين .
ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ . (آيات : ٨٣ ، ٨٩)

﴿رب نجنى وأهلى مما يعملون﴾ . (آية : ١٦٩)

سورة النمل :

﴿فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىَّ وعلى والدىَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين﴾ . (آية : ١٩)

سوة القصص :

﴿قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ . (آية : ١٦)

﴿فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين﴾ .

سورة العنكبوت :

﴿قال رب انصرنى على القوم المفسدين﴾ . (آية : ٣٠)

سورة ص :

﴿قال رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب﴾ (آية : ٣٥)

سورة غافر :

﴿ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ . (آية : ٧)

﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ . (آية : ٨)

﴿وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾ . (آية : ٩)

﴿فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد﴾ . (آية : ٤٤)

سورة الدخان :

﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ . (آية ١٢)

سورة الأحقاف :

﴿قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىَّ وعلى والدىَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين﴾ . (آية : ١٥)

سورة النجم :

﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ . (آية : ٥٨)

سورة الحشر :

﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾ . (آية : ١٠)

سورة الممتحنة :

﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ۞ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ، ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾ .

(آية : ٤ ، ٥)

سورة التحريم :

﴿يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير﴾ .

(آية : ٨)

﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين﴾ .

(آية : ١١)

سورة نوح :

﴿وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ۞ رب اغفر لى ولوالدىّ ولمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا﴾ . (آيات : ٢٦ - ٢٨) .

سورة الفلق :

﴿قل أعوذ برب الفلق ۞ من شر ما خلق ۞ ومن شر غاسق إذا وقب ۞ ومن شر النفاثات فى العقد ۞ ومن شر حاسد إذا حسد﴾ .

سورة الناس :

﴿قل أعوذ برب الناس ۞ ملك الناس ۞ إله الناس ۞ من شر الوسواس الخناس ۞ الذى يوسوس فى صدور الناس ۞ من الجنة والناس﴾ .

من دعاء الأطهار : الدعاء من السنة

استفتاح الدعاء ، واسم الله الأعظم :

عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول :

« اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله ، لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد . . الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » . .

فقال :

« لقد سألت الله بالاسم الأعظم ، الذى إذا سئل به أعطى ، وإذا

دعى به أجاب» [1] .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمع النبى ﷺ رجلا وهو يقول :

«ياذا الجلال والإكرام» .

فقال : «قد استجيب لك فسل» [2] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

مر النبى ﷺ بأبى عياش زيد بن الصامت الزُّرَقى ، وهو يصلى ، وهو يقول :

«اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت ، يا حنان ، يا منان ، يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حى ، يا قيوم » .

فقال رسول الله ﷺ :

«لقد سألت الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى» [3] .

وعن سعد بن أبى وقاص – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه الترمذى وحسنه . . وقال الحافظ أبو الحسن المقدسى إسناده لا مطعن فيه ولم يرد فى هذا الباب حديث أجود منه إسنادا .

(٢) رواه الترمذى وحسنه . .

(٣) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

«دعوة ذى النون إذ دعاه وهو فى بطن الحوت : «لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» . . فإنه لم يدع بها مسلم فى شىء قط إلا استجاب الله له» [1] .

وعن أسماء بنت يزيد – فيما أخرجه الترمذى وقال عنه حديث حسن صحيح – أن النبى ﷺ قال :

اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين :

﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ . .

وفاتحة آل عمران : ﴿ألم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾ . .

القلوب بيد الله :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ :

«اللهم مصرف القلوب ، صرف قلوبنا على طاعتك» [2] .

وعن شهر بن حوشب قال : قلت لأم سلمة – رضى الله عنها : «يا أم المؤمنين ! . . ماكان أكثر دعاء رسول الله – ﷺ – إذا كان عندك ؟ . . قالت : كان أكثر دعائه : «يا مقلب القلوب ، ثبت قلبى على دينك» [3] .

---

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .
(٢) رواه مسلم
(٣) رواه الترمذى وقال : حسن .

وإذا أسلم الرجل :

أخرج الإمام مسلم ، عن أبى مالك الأشجعى قال :

كان الرجل إذا أسلم علمه النبى ﷺ الصلاة ، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات :

« اللهم اغفر لى وارحمنى ، واهدنى وعافنى وارزقنى » .

وفى رواية أخرى عنه : أنه سمع النبى ﷺ ، وأتاه رجل ، فقال : يا رسول الله ، كيف أقول حين أسأل ربى ؟

قال : قل : « اللهم اغفر لى وارحمنى ، وعافنى وارزقنى - ويجمع أصابعه إلا الإبهام - فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك » .

وفيما أخرجه الترمذى وحسنه ، عن عمران بن حُصين - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - لأبى :

« يا حصين ، كم تعبد اليوم إلها ؟ .. » .

قال : سبعة .. ستًّا فى الأرض ، وواحداً فى السماء ...

قال : فأيهم الذى يُعد لرهبتك ورغبتك ؟ ..

قال الذى فى السماء ..

قال : يا حصين ! .. أما إنَّك لو أسلمت لعلمتك كلمتين تنفعانك .

قال : فلما أسلم حُصين قال : يا رسول الله . . علمنى الكلمتين اللتين وعدتنى .

فقال : قل : «اللهم ألهمنى رشدى ، وأعذنى من شر نفسى» .

سلوا الله العافية :

عن أبى الفضل العباس بن عبد المطلب – رضى الله عنه – قال : قلت يا رسول الله ! علمنى شيئاً أسأله الله تعالى ؟ .. قال : «سلوا الله العافية ..

فمكثت أياماً ثم جئت ، فقلت : يا رسول الله ! علمنى شيئاً أسأله الله تعالى ؟ . . قال لى : يا عباس يا عم رسول الله . . سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة» [1] . .

وعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ ، فقال : يا رسول الله . . أى الدعاء أفضل ؟ . . قال : سل ربَّك العافية فى الدنيا والآخرة . . ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال : يا رسول الله ! . . أى الدعاء أفضل ؟ . . فقال له مثل ذلك . . ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال مثل ذلك . . فقال له :

«إذا أعطيت العافية فى الدنيا وأعطيتها فى الآخرة ، فقد أفلحت» [2] .

---

(١) الترمذى وقال حسن صحيح (٢) أخرجه أحمد والترمذى .

وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

«الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة» .. قالوا فماذا تقول يا رسول الله ؟ .. قال :

«سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة» (١) .

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - قال :

لم يكـــن رسول الله ﷺ ، يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسى :

«اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى ، وأهلى ومالى . اللهم استر عوراتى ، وآمن روعاتى ، واحفظنى من بين يدىّ ، ومن خلفى ، وعن يمينى ، وعن شمالى ، ومن فوقى . . وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى . . قال : يعنى الخسف» (٢) .

وسمع رسول الله ﷺ ، رجلا . . وهو يقول :

« اللهم إنى أسألك الصبر . . فقال ﷺ :

سألت الله البلاء ، فاسأله العافية» (٣) .

ومن أجل هذه التوجيهات النبوية الكريمة فى مسألة العافية ، أثبت أبو الحسن الشاذلى فى حزبه الكبير ، هذه الصيغة :

---

(١) الترمذى وقال حسن .

(٢) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه .

(٣) الترمذى وقال حسن .

« اللهم إنا نسألك إيماناً دائماً ، ونسألك قلباً خاشعاً ، ونسألك علماً نافعاً ، ونسألك يقيناً صادقاً ، ونسألك ديناً قيماً ، ونسألك العافية من كل بلية ، ونسألك تمام العافية ، ونسألك دوام العافية ، ونسألك الشكر على العافية ، ونسألك الغنى عن الناس » .

فى الصباح والمساء :

أخرج البخارى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا استيقظ – وفى رواية : إذا أصبح – قال :

« الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » (١) .

وعن عبد الرحمن بن أبزى أن النبى ﷺ كان إذا أصبح يقول :

« أصبحنا على فطرة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، ودين نبينا محمد ، وملة أبينا إبراهيم ، حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » (٢) .

وفى المساء يقول كما يقول فى الصباح ، مع تغيير كلمة « أصبحنا » بكلمة « أمسينا » . وكان يقول :

« رضيت بالله ربًّا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولا » .

وروى ابن السنى عن أبى الدرداء – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال :

---

(١) البخارى ورواه ابن السنى بنحوه .

(٢) ابن السنى ورواه البخارى بنحوه ورواه أحمد والطبرانى .

«من قال فى كل يوم حين يصبح وحين يمسى :
حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم .
سبع مرات ، كفاه الله تعالى ما همه من أمر الدنيا والآخرة» . .
وروى الترمذى حديثاً حسنا صحيحاً عن ثوبان ، أن رسول الله — ﷺ — قال :
«من قال حين يمسى وإذا أصبح : رضيت بالله ربًا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبيًا ، كان حقًا على الله أن يرضيه» .
وروى الترمذى حديثاً حسناً صحيحاً ، عن أبى هريرة ، أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله ﷺ :
«مرنى بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت — قال :
قل : اللهم عالم الغيب والشهادة ، فاطر السموات والأرض ، رب كل شيء ومليكه . . أشهد أن لا إله إلا أنت . . أعوذ بك من شر نفسى ، وشر الشيطان وشركه ، وأن نقترف سوءاً على أنفسنا أو نجره على مسلم .
قله إذا أصبحت ، وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعك» .
وأخرج البخارى عن شداد بن أوس الأنصارى — رضى الله عنه — أن رسول الله — ﷺ — قال :
«سيد الاستغفار أن يقول العبد :
«اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على

عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لى ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

من قالها فى أول النهار موقناً بها ، فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة - ومن قالها من الليل موقناً بها ، فمات قبل أن يصبح . فهو من أهل الجنة » .

وفيما أخرجه البخارى عن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - قال :

«كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال :

باسمك اللهم أحيا وأموت » .

عند النوم :

عن حذيفة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ، ثم يقول :

« اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك » (١) .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

إذا أوى أحدكم إلى فراشه ، فلينفض فراشه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدرى ما خلفه عليه . . ثم يقول :

« باسمك ربي وضعت جنبي ، وبك أرفعه . . إن أمسكت نفسى فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» (٢) .

---

(١) رواه الترمذى وقال حسن .　　(٢) متفق عليه .

وقال شداد بن أوس لرجل من بنى حنظلة :

ألا أعلمك ماكان رسول الله ﷺ يعلمنا أن نقول :

« اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر ، وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك . . وأسألك لساناً صادقاً وقلباً سليماً ، وأعوذ بك من شر ما تعلم . . وأسألك من خير ما تعلم ، وأستغفرك مما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب » . قال : وقال رسول الله ﷺ :

« ما من مسلم يأخذ مضجعه ، فيقرأ سورة من كتاب الله عزوجل ، إلا وكل الله عزوجل به ملكاً ، فلا يقربه شىء يؤذيه حتى يهب متى هب » .

دعاء يقال عند الكرب من أجل الفرج :

عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب :

« لا إله إلا الله العظيم الحليم . . لا إله إلا الله رب العرش العظيم . لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم »[1] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

كان النبى ﷺ إذا كربه أمر قال :

« يا حى يا قيوم – برحمتك أستغيث »[2] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) الترمذى وابن السنى .

وروى أبو داود – فى سننه – عن أبى بكر، أن رسول الله ﷺ قال :
« دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ، وأصلح لى شأنى كله ، لا إله إلا أنت » (1) .

عند الوجع :

إذا وجدت وجعاً فى جسدك ، فضع يدك على الذى يتألم من جسدك ، وقل :

« باسم الله » ثلاثا . . وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته . . من شر ما أجد وأحاذر(2) .

« باسم الله : أذهب الباس ، رب الناس ! . . واشف أنت الشافى . . لا شفاء إلا شفاؤك . . شفاء لا يغادر سقماً » (3) .

إذا اشتد به الوجع ولم يقدر على الصبر :

« اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى : وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى » (4) .

وإذا رمدت عينه :

« اللهم متعنى بسمعى وبصرى ، واجعله الوارث منى . . وأرنى فى العدو ثأرى ، وانصرنى على من ظلمنى » (5) .

---

(1) ابن السنى . (2) أخرجه الترمذى . (3) رواه ابن السنى وغيره .

(4) أخرج الشيخان عن ابن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه . فإن كان لابد فاعلا . فليقل : اللهم أحينى إلخ . . .

(5) ابن السنى .

عند زيادة المريض :

« أسأل الله الكريم ، رب العرش العظيم ، أن يشفيك ويعافيك » .

« شفى الله سقمك ، وغفر لك ذنبك ، وعافاك فى دينك وجسمك ، إلى مدة أجلك » .

« اللهم اشف عبدك ، ينكأ لك عدوًا ، أو يمشى لك فى صلاة » .

فإن كان مريضاً بالحمى ، قال له :

« كفارة وطهور » [1] .

عند اشتداد الهم :

« اللهم إنى عبدك ، وابن عبدك وابن أمتك . . ناصيتى بيدك ، ماض فىّ حكمك ، عدل فىّ قضاؤك . . أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو أعملته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن ربيع قلبى ، ونور صدرى ، وجلاء غمى ، وذهاب حزنى وهمى » .

قال ﷺ :

« ما أصاب أحداً حزن ، فقال ذلك . . إلا أذهب الله همه ، وأبدله مكانه فرحاً . . فقيل : يا رسول الله ! . . أفلا نتعلمها ؟ . »

---

(١) روى ذلك ابن السنى .

فقال ﷺ : بل ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها »[1] .

إذا أصبت بمصيبة :

عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ :

« إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل : إنا لله وإنا إليه راجعون . . اللهم عندك أحتسب مصيبتى فاجرنى فيها ، وأبدلنى بها خيراً منها »[2] .

إذا استعصيت أمراً :

« اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا . . وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا »[3]

إذا عسرت المعيشة :

« باسم الله على نفسى ومالى : اللهم ارضنى بقضائك ، وبارك لى فيما قدر لى . . حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت »[4] .

---

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه أبو داود والحاكم والترمذى وابن ماجه .

(٣) لحزن : الصعب .　　　(٤) ابن السني

وإذا سمعت بوفاة أحد :

« إنا لله وإنا إليه راجعون ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون .. اللهم اكتبه فى المحسنين ، واجعل كتابه فى عليين ، واخلفه على عقبه فى الغابرين . . اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده ، واغفر لنا وله » [1] .

وإذا خفت قوماً ، فقل :

« اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم » [2] .

وإذا رأيت شيئاً تكرهه :

ليس التشاؤم من الإسلام فى شيء ، ومع ذلك . . فإنه إذا رأى الإنسان ما يكره على أى وضع كان ، فليقل – كما جاء فى حديث رسول الله ﷺ :

« اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت . . لا حول ولا قوة إلا بالله » [3] .

وليقل :

---

(١) ابن السنى .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والحاكم والبيهقى فى الشعب . .

(٣) رواه ابن السنى .

« اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك » .

وإذا هبت الريح :

« اللهم إني أسألك خير هذه الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أرسلت به . . ونعوذ بك من شرها ، وشر ما فيها ، وشر ما أرسِلَت به » [1] .

ويقول :

« لقحاء [2] لا عقيماً » [3] .

« اللهم إنا نعوذ بك من شر ما أرسلت به » [4] .

إذا رأى سحاباً مقبلا :

« اللهم إنا نعوذ بك من شر ما أرسِلَت به » [5] .

إذا سمع الرعد والصواعق :

« اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك » [6] .

---

(١) الترمذى وقال حسن صحيح ، وابن السنى ، والنسائى .

(٢) أى حاملة للمطر نافعة .

(٣) رواه ابن السخا وابن حبان والحاكم .

(٤) رواه ابن السنى والطبرانى .

(٥) ابن السنى .

(٦) ابن السنى بإسناد حسن وأحمد والترمذى والحاكم .

«سبحان من يسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته»[1] .

إذا رأى المطر :

«اللهم اجعله صيباً نافعاً»[2] .

إذا اشتد الحر :

«اللهم أجرنى من حر جهنم»[3] .

عند الفزع فى النوم :

عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن النبى ﷺ قال :

«إذا فزع أحدكم فى النوم ، فليقل :

أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون ، فإنها لن تضره[4] .

قال : وكان عبد الله بن عمرو يلقنها من بلغ من ولده . . ومن لم يبلغ منهم كتبها فى صك ، ثم علقها فى عنقه» . .

للحفظ فى المكان :

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال :

«جاء رجل إلى النبى ﷺ ، فقال :

---

(١) رواه مالك موقوفا على ابن الزبير .

(٢) رواه البخارى والنسائى

(٣) ابن السنى .

(٤) الإمام أحمد والترمذى .

يا رسول الله ! . . ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة . . قال : أما لو قلت حين أمسيت :

« أعوذ بكلمات الله التامات ، من شر ما خلق » .

لم يضرك شيء »[1] .

وعن خَولة بنت حكيم السُّلَمية – رضى الله عنها – أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إذا نزل أحدكم منزلا ، فليقل :

« أعوذ بكلمات الله التامَّات من شر ما خلق » . .

. . فإنه لا يضره شيء حتّى يرتحل عَنه »[2] .

عند دخول المنزل :

روى الإمام مسلم ، عن جابر – رضى الله عنه – قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إذا دخل الرجل بيته ، فذكر الله تعالى عند دخوله ، وعند طعامه ، قال الشيطان : « لا مبيت ولا عشاء » . .

وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله ، قال الشيطان : « أدركتم المبيت » . . فإذا لم يذكر الله تعالى ، عند طعامه ، قال : « أدركتم المبيت والعشاء » .

---

(١) رواه مسلم .　　(٢) رواه مسلم .

ومن الأدعية عند الدخول :

« اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك ، وارحمنى . . إنك أنت الغفور الرحيم » .

عند الخروج من المنزل :

روى أبو داود ، عن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، قال :

« من قال – يعنى إذا خرج من بيته – : باسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . . يقال له : كُفيت ، ووُقيت ، وهُديت . . وتنحى عنه الشيطان . . فيقول لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى » . .

وعن أم سلمة – رضى الله عنها – أن النبى ﷺ كان إذا خرج من بيته قال :

« باسم الله ، توكلت على الله . . اللهم إنى أعوذ بك أن أَضِلَّ أَو أُضَلَّ ، أو أَزِل أو أُزَلَّ ، أو أَظْلِم ، أو أجهَل أو يُجهل عَلَىَّ »[1] .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال : حسن صحيح .

إذا دخل المسجد :

« اللهم افتح لى أبواب رحمتك »[1] .

إذا خرج من المسجد :

« اللهم إنى أسألك من فضلك »[2] .

عند رؤية ما يسره :

عن أنس - رضى الله عنه - فيما رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد - أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى ما يسره ، قال :

« الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات » .

عند رؤية ما يسوءه :

وكان ﷺ إذا رأى ما يسوءه ، قال :

« الحمد لله على كل حال » . .

أما النصيحة القرآنية ، لكل من رأى ما يسره من أهله أو ماله .

فهى أن يقول :

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه ابن السنى .

«ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله» . .

وهذه الكلمة القرآنية الكريمة ، من خصائصها المنع من الحسد ، ومن خصائصها الحفظ والزيادة . .

عند الشروع فى أمر :

«ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيِّئ لنا من أمرنا رشداً»[1] .

«ربِّ اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى»[2] . .

عند دخول السوق :

روى الحاكم بإسناد – قال عنه إنه صحيح على شرط الشيخين – أن السنة عند دخول السوق ، أن يقول الإنسان :

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حى لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير» .

وعند الخروج من السوق :

«باسم الله ! . . اللهم إنى أسألك من خير هذه السوق ، وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شر هذه السوق وشر ما فيها . . وأعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة ، أو صفقة خاسرة»[3] .

---

(١) الكهف : ١٠ .

(٢) طه : ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) رواه الطبرانى والحاكم وابن السنى .

عند شراء دابة أو استعمال خادم :

« اللهم إنى أسألك خيره وخير ما جبل عليه . . وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه » [1] . .

فإذا لبست ثوباً جديداً :

روى الترمذى – بإسناد حسن – عن رسول الله ﷺ قال :

« اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد . . أسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له » . .

عند النظر إلى السماء :

« ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » [2] .

عند القيام من المجلس :

روى عن رسول الله ﷺ بإسناد حسن أن كفارة المجلس أن يقول الإنسان عند القيام :

« سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » . .

وفيما رواه الترمذى وحسنه أن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما –

---

(١) رواه ابن السنى . (٢) آل عمران آية : ١٩١ .

قال :

قلَّ ماكان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه :

« اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلّغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا . . ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعل الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على أعدائنا ، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا . ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » (١) . .

عند رؤية الهلال :

« اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، ربى وربك الله » (٢) . .

عند السفر :

عن على بن عبد الله الأزدى رضى الله عنه – فيما أخرجه الإمام مسلم – أن ابن عمر رضى الله عنهما ، علّمهم أن رسول الله ﷺ كان

---

(١) رواه الترمذى والحاكم عن ابن عمر.

(٢) رواه ابن السنى والطبرانى بنحوه.

إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر ، كبر ثلاثاً ثم قال :

«سبحان الذى سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى . . اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو بعده . . اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل . . اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب فى المال والأهل والولد . .

وإذا رجع قالهن وزاد فيهن : «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون» . .

ومن أدعية المسافر :

«اللهم بك انتشرت ، وإليك توجهت ، وبك اعتصمت – اللهم أنت ثقتى ورجائى . . اللهم اكفنى ما أهمنى ، ومالا أهتم به ، وما أنت أعلم به منى ، وزودنى التقوى ، واغفر ذنبى ، ووجهنى إلى الخير» [1] .

ما يقوله إذا أتى قرية يريد دخولها :

«اللهم رب السموات السبع وما أظللن . . ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين . . فإنى أسألك خير هذه القرية وخير ما فيها ، وخير أهلها . . ونعوذ بك من

---

(١) رواه الترمذى .

شرها ومن شر أهلها ، ومن شر ما فيها »[1]

عن عائشة رضى الله عنها قالت :

كان رسول الله ﷺ إذا أشرف على أرض يريد دخولها قال :

« اللهم إنى أسألك من خير هذه القرية وخير ما جمعت فيها . .
وأعوذ بك من شرها وشر ما جمعت فيها . . اللهم ارزقنا جناها ، وأعذنا من وباها ، وحببنا إلى أهلها ، وحبب صالح أهلها إلينا » .

إذا ركب سفينة :

« باسم الله مجريها ومرساها . . إن ربى لغفور رحيم »[2] .

« وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة . والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون »[3] .

وعندما يودع شخصا :

كان رسول الله ﷺ يودعنا فيقول :

« استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك »[4]

وقال النبى ﷺ :

---

(١) رواه مسلم . (٢) هود : ٤١ .

(٣) الزمر : ٦٧ .

(٤) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح وأحمد والنسائى وابن ماجه والحاكم .

«اللهم ازو له الأرض ، وهون عليه السفر» .

عن أنس أن رجلا أتى النبىَّ ﷺ فقال :

يا رسول الله . . . إنى أريد سفراً فزودنى . . . قال :

زودك الله بالتقوى . قال : زدنى . قال :

وغفر لك ذنبك . قال : زدنى . قال :

ووجهك للخير حيثما كنت .[1]

الجوامع من الدعاء :

عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : كان رسول الله ﷺ ، يستَحِبُّ الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك[2] .

من جوامع الدعاء :

عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً ، قلنا : يا رسول الله ، دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً ؟ فقال : ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله ؟ تقول :

« اللهم إنى أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ ، وأنت المستعان ، وعليك البلاغ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »[3] .

---

(١) رواه الترمذى وقال حسن .

(٢) رواه أبو داود بإسناد جيد .

(٣) رواه الترمذى وقال حسن .

وعنه رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ يقول :

« اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر »[1] .

وروى الحاكم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال :

« أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا فى الدعاء ؟

قالوا : نعم يا رسول الله .

قال : قولوا : اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ :

« اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار »[2] .

وعن عمران بن الحصين رضى الله عنهما ، أن النبى ﷺ علم أباه حصيناً كلمتين يدعو بهما : اللهم ألهمنى رشدى وأعذنى من شر نفسى[3] .

وأخرج الترمذى وحسنه عن قطبة بن مالك رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ يقول :

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

(٣) رواه الترمذى وقال : حسن .

« اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء » .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقول فى دعائه :

« اللهم إنى أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل »[1] .

وروى الإمام مسلم رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول :

« اللهم إنى أعوذ بك من من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« تعوذوا بالله من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء » .

وفيما أخرجه الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه كان يقول :

« اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » .

وفيما أخرجه الإمام مسلم رضى الله عنه أن السيدة عائشة رضى الله عنها سئلت عن دعاء كان يدعو به رسول الله ﷺ عليه وسلم قالت :

كان يقول « اللهم إنى أعوذ بك من شر ما عملت ، ومن شر ما لم أعمل » .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « قل : اللهم اهدنى وسددنى » .

---

(١) رواه مسلم

وفى رواية : «قل : اللهم إنى أسألك الهدى والسداد ، وأذكر بالهدى هدايتك الطريق ، وبالسداد سداد السهم» .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ كان يقول :

«اللهم لك أسلمت . وبك آمنت . وعليك توكلت . وإليك أنبت . وبك خاصمت . وإليك حاكمت . فاغفر لى ما قدمت وما أخرت . لا إله إلا أنت» . زاد بعض الرواة : . «ولا حول ولا قوة إلا بالله» .

وروى الشيخان بسندهما عن أبى موسى عبد الله بن قيس رضى الله عنه عن النبى ﷺ ، أنه كان يدعو بهذا الدعاء :

«اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى» .

اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى .

اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شىء قدير» .

وأخرج الترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

علمنى رسول الله ﷺ قال : قل :

«اللهم اجعل سريرتى خيراً من علانيتى واجعل علانيتى صالحة .

اللهم إنى أسألك من صالح ماتؤتى الناس من المال والأهل والولد غير الضال ولا المضل» .

وفيما أخرجه الإمام مسلم رضى الله عنه عن عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضى الله عنهما قال :

كان من دعاء رسول الله ﷺ :

« اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك وجميع سخطك » .

دعاء عرفة :

روى الترمذى – بسنده – أن النبى ﷺ قال :

« خير الدعاء دعاء يوم عرفة . وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » .

وعن على – رضى الله عنه – قال :

أكثر ما دعا به رسول الله ﷺ عشية عرفة فى الموقف :

« اللهم لك الحمد كالذى نقول ، وخيراً مما نقول . . لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، وإليك مآبى ، ولك رب تراثى . . اللهم أعوذ بك من شر ما تجىء به الريح » . .

وقد روى أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يقول :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . اللهم اجعل فى بصرى نوراً ، وفى سمعى نوراً ، وفى

قلبى نوراً . . اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى . . اللهم إنى أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وفتنة القبر ، وشر ما يلج فى الليل ، وشر ما يلج فى النهار ، وشر ما تهب به الرياح ، ومن شر بوائق الدهر» . .

ومن دعاء يوم عرفة أيضاً ، قوله ﷺ :

«اللهم إنك تسمع كلامى ، وترى مكانى ، وتعلم سرى وعلانيتى ، ولا يخفى عليك شيء من أمرى . أنا البائس الفقير ، المستغيث المستجير ، الوجل المشفق ، المعترف بذنبه . أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، دعاء من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عبرته ، وذل لك جسده ، ورغم لك أنفه . . اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيًّا ، وكن بى رءوفاً رحيماً . . يا خير المسئولين ، وأكرم المعطين» . .

ما يجمع بين الدنيا والآخرة :

عن طارق أنه سمع النبى ﷺ – وأتاه رجل فقال : يا رسول الله ! .. كيف أقول حين أسأل ربى ؟ .. قال : قل :

«اللهم اغفر لى وارحمنى وعافنى وارزقنى ، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك» [1] . .

---

(١) رواه مسلم .

من أقامهن دخل الجنة :

فيما أخرجه الإمام أحمد والترمذى عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قال :

كان النبى ﷺ إذا أنزل عليه الوحى سمع عند وجهه كدوى النحل ، فأنزل عليه يوماً ، فمكثنا عنده ساعة ، فسرى عنه ، فاستقبل القبلة ، ورفع يديه ، وقال :

« اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا » .

ثم قال ﷺ :

« أنزلت على عشر آيات ، من أقامهن دخل الجنة . . ثم قرأ : ﴿قد أفلح المؤمنون . . .﴾[1] .

لا تدعوا على أنفسكم :

عن جابر – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على

---

(١) تمام الآيات : « الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم . أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون » .

أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم » (1) .

صلاة الاستخارة ودعاؤها :

أخرج الإمام أحمد ، والإمام البخارى ، عن جابر بن عبد الله — رضى الله عنهما — قال :

«كان رسول الله ﷺ يعلّمنا الاستخارة فى الأمور كلها . كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول :

إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل :

اللهم إنى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب . . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى — أو قال : عاجل أمرى وآجله — فاقدره ويسره لى ثم بارك لى فيه . . اللهم وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى — أو قال : عاجل أمرى وآجله — فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به» . ويسمى حاجته . .

---

(1) رواه مسلم .

صلاة الحاجة ودعاؤها :

يقول الإمام الدهلوى :

والأصل فيها أن الابتغاء من الناس وطلب الحاجة منهم مظنة أن يرى إعانة ما من غير الله تعالى ، فيخل بتوحيد الاستعانة ، فشرع لهم صلاة ودعاء ، ليدفع عنهم هذا الشر ، ويصير وقوع الحاجة مؤيداً له فيما هو بسبيله من الإحسان . .

فسن لهم أن يركعوا ركعتين ، ثم يثنوا على الله ، ويصلوا على النبى ﷺ ، ثم يقولوا :

«لا إله إلا الله الحليم الكريم . سبحان الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين . . أسألك موجبات [1] رحمتك ، وعزائم [2] مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم . . لا تدع لى ذنباً إلا غفرته ، ولا هما إلا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الراحمين» [3] .

التوسل برسول الله ﷺ :

أخرج الترمذى — فى حديث حسن صحيح — عن عثمان بن حنيف

(١) أى الأعمال التى توجب لى رحمتك .

(٢) الأفعال التى تتأكد بها مغفرتك .

(٣) الدعاوى جـ٢ ص ٤٥٤ .

رضى الله عنه أن رجلا ضريراً أتى النبى ﷺ ، فقال :

ادع الله أن يعافينى . قال : إن شئت دعوة ، وإن شئت صبرت فهو خير لك ؟

قال : فادعه . . قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ، ويدعو بهذا الدعاء :

« اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد . . إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى . . اللهم فشفعه فى » .

من دعاء الأطهار : الذكر والدعاء بغير المأثور

ويصح الذكر والدعاء بغير المأثور . والأحاديث التالية دليل على ذلك فى جانبى الذكر والدعاء .

عن أنس رضى الله عنه قال :

كنت مع رسول الله ﷺ ، جالساً فى الحلقة ، إذ جاء رجل فسلم على رسول الله ﷺ والقوم ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله . فرد رسول الله ﷺ :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . فلما جلس الرجل قال :

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يحب ربنا أن يحمد وينبغى له .

فقال له رسول الله ﷺ : كيف قلت ؟ فرد عليه كما قال ، فقال النبي ﷺ :

والذى نفسى بيده ، قد ابتدرها عشرة أملاك ، كلهم حريص على أن يكتبها ، فما دَرَوْا كيف يكتبونها حتى رفعوها إلى ذى العزة ، فقال : اكتبوها كما قال عبدى .

رواه أحمد ، ورواته ثقات ، والنسائى وابن حبان فى صحيحه إلا أنهما قالا :

«كما يحب ربنا ويرضى» .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما – فيما رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه – أن رسول الله ﷺ حدثهم :

«أن عبداً من عباد الله قال : يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك . فعضَّلَت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى السماء ، فقالا :

يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها .

قال الله ، وهو أعلم بما قال عبده ، ماذا قال عبدى ؟

قالا : يارب إنه قال : يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ، ولعظيم سلطانك .

فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها» .

وقد أخرج أبو داود بسند جيد عن بعض الصحابة . أن النبي قال لرجل :

كيف تقول فى الصلاة ؟

قال الرجل : «أتشهد ثم أقول اللهم إنى أسألك الجنة ، وأعوذ بك من النار» . ثم قال الرجل للرسول ﷺ : أما إنى لا أحسن دندنتك (أى نص قولك فى الدعاء) ولا دندنة معاذ .

فقال النبى ﷺ : «حول ذلك ندندن أنا ومعاذ» .

قال الصنعانى : «ففيه أنه يدعو الإنسان بأى لفظ شاء من مأثور وغيره» .

دعاء الخليل عليه الصلاة والسلام :

كان يقول إذا أصبح : اللهم إن هذا خلق جديد فافتحه عَلَيَّ بطاعتك ، واختمه لى بمغفرتك ورضوانك ، وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى ، وزكها وضاعفها لى ، وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى إنك غفور رحيم ودود كريم .

قال : ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه .

دعاء الخضر عليه السلام :

يقال إن الخضر وإلياس عليهما السلام إذا التقيا فى كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات : بسم الله ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، ما شاء الله ، كل نعمة من الله ، ما شاء الله ، الخير كله بيد الله ، ما شاء الله ،

لا يصرف السوء إلا الله .. فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك ماكان يدعو به سيدنا عمر بن عبد العزيز (نقلا عن كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز) :

اللهم رضنى بقضائك ، وبارك لى قدرك ، حتّى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت .

وكان عمر بن عبد العزيز يقول : ما برح بى هذا الدعاء حتّى لقد أصبحت ومالى فى شىء من الأمور هوى إلا فى مواضع القضاء .

وكان عمر بن عبد العزيز إذا دخل الكعبة قال : اللهم إنك وعدت الأمان دخال بيتك ، وأنت خير منْزل به فى بيته .

اللهم اجعل أمان ما تؤمننى به ، أن تكفينى مؤونة الدنيا ، وكل هول دون الجنة حتّى تُبلِّغنيها برحمتك يا أرحم الراحمين .

وكان أيضاً يدعو فيقول : اللهمَّ ألبسنى العافية حتّى تهنينى المعيشة واختم لى بالمغفرة حتّى لا تضرَّنى الذنوب ، واكفنى كل هول دون الجنة تبلِّغنيها برحمتك يا أرحم الراحمين .

وكان إذا وقف بعرفات قال : اللهم إنك دعوت إلى حج بيتك ، ووعدت به منفعة على شهود مناسكك . وقد جئتك . اللهم اجعل منفعة ما تنفعنى به أن تؤتينى فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وأن تقينى عذاب النار .

وكان يقول : اللهم لا تعطنى فى الدنيا عطاء يبعدنى من رحمتك فى الآخرة .

وكان يقول : يا رب انفعنى بعقلى ، واجعل ما أصير إليه أهم إلى مما ينقطع عنى ، اللهم إنى أحسنت بك الظن فأحسن لى الثواب ، اللهم أعطنى من الدنيا ما تقينى به فتنتها ، وتغنينى به عن أهلها ، وتجعله لى بلاغاً إلى ما هو خير لى منها ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك .

دعاء إبراهيم بن أدهم :

وقد روى الإمام الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين عن إبراهيم ابن بشار أن إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه كان يقول هذا الدعاء فى كل يوم جمعة إذا أصبح ، وإذا أمسى :

« مرحباً بيوم المزيد والصبح الجديد ، والكاتب والشهيد ، يومنا هذا يوم عيد ، اكتب لنا فيه ما نقول ، بسم الله الحميد المجيد ، الرفيع الودود ، الفعّال فى خلقه ما يريد ، أصبحت بالله مؤمناً ، وبلقائه مصدقاً ، وبحجته معترفاً ، ومن ذنبى مستغفراً ، ولربوبية الله خاضعاً ، ولسوى الله فى الآلهة جاحداً ، وإلى الله فقيراً ، وعلى الله متكلا ، وإلى الله منيباً ، أشهد الله ، وأشهد ملائكته ، وأنبياءه ورسله ، وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خلقه ، بأنه هو الله الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً ، وأن الجنة حق ،

وأن النار حق ، والحوض حق ، والشفاعة حق ، ومنكراً ونكيراً حق ، ووعدك حق ، ووعيدك حق ، ولقاءك حق ، والساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، على ذلك أحيا وعليه أموت ، وعليه أبعث إن شاء الله .

اللهم أنت ربى ، لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذى شر .

اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى ذنوبى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدنى لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت .

لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك ، أنا لك وإليك ، أستغفرك وأتوب إليك ، آمنت اللهم بما أرسلت من رسول ، وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب ، وصلى الله على محمد النبى الأمى وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً ، خاتم كلامك ومفتاحه ، وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين .

اللهم أوردنا حوض محمد ، واسقنا بكأسه مشرباً رويًّا سائغاً هنياً ، لا نظمأ بعده أبداً ، واحشرنا فى زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين .

اللهم اعصمنى من فتن الدنيا ، ووفقنى لما تحب وترضى ، وأصلح لى

شأنى كله ، وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولا تضلنى وإن كنت ظالماً . سبحانك يا على يا عظيم ، يا بارئ يا رحيم ، يا عزيز يا جبار ، سبحان من سبحت له السموات بأكنانها ، وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها ، وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها ، وسبحان من سبحت له الحيتان بلغتها ، وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها ، وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها ، وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهنّ ومن عليهنّ ، سبحان من سبح له كل شىء من مخلوقاته . تباركت وتعاليت سبحانك ، سبحانك يا حى يا قيوم ، يا عليم يا حليم . سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحيى وتميت وأنت حى لا تموت ، بيدك الخير، وأنت على كل شىء قدير» .

دعاء معروف الكرخى رضى الله عنه :

قال محمد بن حسان : قال لى معروف الكرخى رحمه الله : ألا أعلمك عشر كلمات ، خمس للدنيا وخمس للآخرة ، من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن . قلت : اكتبها لى . قال : لا ، ولكن أرددها عليك كما رددها على بكر بن خنيس رحمه الله . «حسبى الله لدينى ، حسبى الله لدنياى ، حسبى الله الكريم لما أهمنى ، حسبى الله الحليم القوى لمن بغى على ، حسبى الله الشديد لمن كادنى بسوء ، حسبى

الله الرحيم عند الموت ، حسبى الله الرءوف عند المسألة فى القبر ، حسبى الله الكريم عند الحساب ، حسبى الله اللطيف عند الميزان ، حسبى الله القدير عند الصراط ، حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم» .

الشاذلى والذكر والدعاء :

وقد أفاض الإمام الشاذلى رضى الله عنه فى الذكر والدعاء مستلهماً الكتاب والسنة وسائراً على حدودهما . ونقتطف من ذلك ما يلى :

« اللهم إنا نسألك لساناً رطباً بذكرك ، وقلباً منعماً بشكرك ، وبدنا هيناً ليناً بطاعتك ، وأعطنا مع ذلك مالاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر كما أخبر به رسولك ﷺ حسب ما علمته بعلمك ، واغننا بلا سبب ، واجعلنا سبب الغنى لأوليائك ، وبرزخاً بينهم وبين أعدائك ، إنك على كل شىء قدير .

اللهم إنا نسألك إيماناً دائماً ، ونسألك قلباً خاشعاً ، ونسألك علماً نافعاً ، ونسألك يقيناً صادقاً ، ونسألك ديناً قيماً ، ونسألك العافية من كل بلية ، ونسألك تمام العافية ، ونسألك دوام العافية ، ونسألك الشكر على العافية ، ونسألك الغنى عن الناس .

اللهم إنا نسألك التوبة الكاملة ، والمغفرة الشاملة ، والمحبة الكاملة الجامعة ، والخلة الصافية ، والمعرفة الواسعة ، والأنوار الساطعة ،

والشفاعة القائمة ، والحجة البالغة ، والدرجة العالية ، وَفكَّ وثاقنا من المعصية ، ورهاننا من النقمة بمواهب المنة .

اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها ، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها ، فذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها ، واحملنا على النجاة منها ومن التفكر فى طرائقها ، وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها ، واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها ، وأفض علينا من بحر كرمك وعفوك ، حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها ، واجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها ، وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها ، وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها .

اللهم إنا نسألك توبة سابقة منك إلينا لتكون توبتنا تابعة إليك منا ، وهب لنا التلقى منك كتلقى آدم منك الكلمات ليكون قدوة لولده فى التوبة والأعمال الصالحات ، وباعد بيننا وبين العناد والإصرار ، والشبه بإبليس رأس الغواة ، واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت ، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك ، والإساءة لا تعتبر مع الحب منك ، وقد أبهمت الأمر علينا لنرجو ونخاف ، فآمن خوفنا ولا تخيِّب رجاءنا ، وأعطنا سؤلنا فقد أعطيتنا الإيمان من قبل أن نسألك ، وكتبت وحببت وزينت وكرهت وأطلقت الألسن بما به ترجمت ، فنعم الرب أنت فلك الحمد على ما أنعمت ، فاغفر لنا

ولا تعاقبنا بالسلب بعد العطاء ، ولا بكفران النعم وحرمان الرضا .

اللهم رضّنا بقضائك ، وصبرنا على طاعتك وعن معصيتك ، وعن الشهوات الموجبات للنقص أو البعد عنك ، وهب لنا حقيقة الإيمان بك حتى لا نخاف غيرك ، ولا نرجو غيرك ، ولا نحب غيرك ، ولا نعبد شيئاً سواك ، وأوزعنا شكر نعمائك ، وغطنا برداء عافيتك ، وانصرنا باليقين والتوكل عليك ، وأسفر وجوهنا بنور صفاتك ، وأضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين أوليائك ، واجعل يدك مبسوطة علينا ، وعلى أهلينا وأولادنا ومن معنا برحمتك ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك يا نعم المجيب .

ومن دعاء سيدى على وفا :

بسم الله الرحمن الرحيم :

اللهم إنى أعددت لكل هول ألقاه فى الدنيا والآخرة : لا إله إلا الله ، ولكل هم وغم : ما شاء الله ، ولكل نعمة : الحمد لله ، ولكل رخاء وشدة : الشكر لله ، ولكل أعجوبة : سبحان الله ، ولكل ذنب : أستغفر الله ، ولكل ضيق : حسبى الله ، ولكل مصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولكل قضاء وقدر : توكلت على الله ، ولكل طاعة ومعصية : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنّا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا

ولا تؤثر علينا وأرضنا وارض عنا وتقبل منا ياكريم برحمتك يا أرحم الراحمين أمين .

والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم :

اللهم اجمعنا على أهل العلم والمعرفة والولاية والخصوصية والاصطفائية بحسن الأدب والإخلاص فى القصد ، والتوفيق فى المطالب ، واسلك بنا طريق السنة ، وجنبنا طريق البدعة ، ووفقنا للفهم عنك ، وحسن الاعتقاد فى الإيمان بأسمائك وصفاتك .

ذكر ودعاء :

يقول الله تعالى :

﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾

ويقول سبحانه :

﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعو فله الأسماء الحسنى ﴾ .

وحينما يكرر الإنسان بلسانه وقلبه اسماً من أسماء الله سبحانه وتعالى فإنه يكون فى أثناء التكرار ذاكراً وداعياً .

فإذا ذكر باسم الرحمن سبحانه ، أو باسم الرحيم ، فإنه ذاكر لرحمانية الله ورحيميته ، وهو من هذا القبيل ذكر ، أى تذكر لله بصفة من صفاته . بيد أن من ثمار هذا الذكر – وللذكر ثمار كثيرة ، فيما يتعلق

بحظ العبد منه – إنما هو أن يرحمه الله تعالى . وبمقدار تكراره مخلصاً يكون فى رياض من رحمة الله سبحانه .

ولقد لجأ كثير من الصالحين إلى القرآن يستلهمونه ذكراً مناسباً لحالات معينة ليكون ذكراً ودعاء ، أو ليكون دواء وصفه الله فى ظروف محددة ، وهو فى الوقت نفسه عبادة .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :

﴿وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد﴾

هذه الآية تنتهى بقوله تعالى ﴿الولى الحميد﴾

ومعنى ذلك أن نزول الغيث بعد اليأس من نزوله ، ونشر الرحمة حيث أوشك الناس أن يفقدوا الأمل منها ، إنما كان نابعاً من صفة الله سبحانه التى هى : الولى الحميد .

وإذن فإن الإنسان حينما يكون فى ظروف شديدة ، ولا يرى فيها فرجة للأمل ، فعليه أن يلجأ إلى الله بصفته : الولى الحميد . أى عليه أن يديم الذكر – متجهاً إلى الله بكل كيانه – بصفة الولى الحميد .

فإذا ما فعل ذلك ، نزل الغيث أى أتى الفرج ، وفاضت عليه رحمة الله .

ويقول الله تعالى :

﴿قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مُشفقينَ . فمنَّ الله علينا ووقانَا عذاب

السموم . إنا كنا من قبلُ ندعوه إنه هو البَرُّ الرحيم ﴾[1] .

والبر الرحيم ، من أجمل الصفات وأنسبها لاستجابة الدعاء .

وعلى الداعى الذى يعمل على تحقيق شروط الدعاء ، أن يلجأ إلى الله – لاستجابة دعائه – بصفته : البر الرحيم ، وذلك إشارة قرآنية لاستجابة الدعاء .

أما المغفرة فإن الصِّيغ التى يلجأ إليها الإنسان كثيرة متعددة منها :

الغفور الرحيم .

ومنها : غفور رحيم .

بالتعريف فى الاسمين الشريفين وبدونه .

يقول تعالى :

﴿ . . . والملائكة يُسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴾[2] .

ويقول سبحانه :

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ، ويجعل لكم نوراً تمشون به ، ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾[3] .

وفى القرآن من أمثال هذا كثير للدلالة على كيفية الالتجاء إلى الله من

---

(١) الطور : ٢٦ – ٢٨ .
(٢) الشورى : ٥ .
(٣) الحديد : ٢٨ . .

أجل المغفرة . على أن الالتجاء إلى الله للمغفرة له صيغ أخرى أرشد الله إليها ، منها :

﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [1] .

ومنها :

﴿رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى . . .﴾ [2] .

ويرى بعض الصالحين ، أن هذه الصيغ وهذه الأسماء ، إنما هى صور لاسم الله الأعظم ، وأنه ليس لاسم الله الأعظم صيغة واحدة ، أو اسم واحد ، وإنما هو صيغ وأسماء ، ولكل حالة ما يناسبها .

وعلى هذا فاسم الله الأعظم الذى يوصف لسعة الرزق إنما هو الاستغفار .

يقول تعالى :

﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً . يرسل السماء عليكم مدراراً . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ [3] .

واسم الله الأعظم الذى يوصف للنجاة من العذاب فى الدنيا إنما هو الاستغفار أيضاً :

يقول تعالى :

---

(١) الأعراف : ٢٣ .

(٢) القصص : ١٦ .

(٣) نوح : ١٠ - ١٢ .

﴿وماكان الله ليعذِّبهم وأنت فيهم ، وماكان الله معذِّبهم وهم يستغفرون﴾ [1] .

واسم الله الأعظم لحفظ كل نفيس وزيادته ، ومنع الحسد عنه هو : «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» [2] .

واسم الله الأعظم لتلافى الكوارث والمصائب المالية ، إنما هو – مع إخراج حق الله – التسبيح .

يقول تعالى ، فى قصة أصحاب الجنة على لسان أوسطهم ، أى أمثلهم : ﴿ألم أقل لكم لولا تسبِّحُون﴾ [3] .

والاسم الأعظم لتفريج الشدة هو التسبيح أيضاً . يقول تعالى عن سيدنا ذى النون : ﴿فلولا أنه كان من المسبِّحين لَلَبِث فى بطنه إلى يوم يبعثون﴾ [4] .

فنجاته إنما كانت لأنه كان من المسبحين .

أما الأمور المتشابكة التى تحتاج إلى تنسيق دقيق ، وتدبير بارع لتنتهى إلى نتيجة سارة :

فاسم الله الأعظم بالنسبة لها ، هو تكرار قوله تعالى :

﴿إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم﴾ [5] .

---

(١) الأنفال : ٣٣ .

(٢) الكهف : ٣٩ .

(٣) ن : ٢٨ .

(٤) الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٥) يوسف : ١٠٠ .

ومن هذا القبيل ، هذه النظرات الصائبة ، والنصائح الذكية التى وجهها سيدنا جعفر الصادق لطوائف من الناس .

يقول رضى الله عنه :

عجبت لمن ابتلى بأربع كيف يغفل عن أربع :

١ - من ابتلى بالضر كيف يغفل عن :

﴿رب إنى مَسَّنِىَ الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ [١] .

ويقول الله تعالى فى القرآن الكريم معقباً على ذلك :

﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضُرٍّ وءاتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ [٢] .

٢ - من ابتلى بالغم كيف يغفل عن :

﴿لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾ [٣] .

ويقول تعالى فى القرآن الكريم معقباً على ذلك :

﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين﴾ [٤] .

٣ - من ابتلى بموجبات الخوف كيف يغفل عن :

﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [٥] .

ويقول الله تعالى فى القرآن الكريم معقباً على ذلك :

---

(١) ونص الآية : (وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) .

(٢) الأنبياء الآية : ٨٤ .

(٣) الأنبياء آية : ٨٧ .

(٤) الأنبياء آية : ٨٨ .

(٥) آل عمران آية : ١٧٣ .

﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾ [1] .

٤ - ومن ابتلى بالمكر كيف يغفل عن :

﴿وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد﴾ [2] .

ويقول الله تعالى فى القرآن الكريم معقباً على ذلك :

﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ [3] .

ولقد كتب كثير من الصالحين عن أسماء الله الحسنى شارحين وموضحين ومبينين فى الوقت نفسه أثرها بالنسبة للذاكر ، ويعبرون عن هذا الأثر بقولهم :

«وحفظ العبد منه . . .»

ونذكر أمثلة لذلك من الكتاب النفيس فى هذا المجال الذى ألفه الإمام الغزالى وسماه :

«المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى» :

الله : هو اسم للموجود الحق لصفات الإلهية ، المنعوت بنعوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيق ، فإن كل موجود سواه ، غير مستحق للوجود بذاته ، وإنما استفاد الوجود منه ، فهو من حيث ذاته هالك ،

---

(١) آل عمران آية : ١٧٤ .
(٢) غافر آية : ٤٤ .
(٣) غافر آية ٤٥ .

ومن جهته التي تليه موجود هالك إلا وجهه ، والأشبه أنه جاء في الدلالة على هذا المعنى مجرى الأسماء الأعلام ، وكل ما ذكر في اشتقاقه وتصريفه تعسف وتكلف .

فائدة :

اعلم أن هذا الاسم ، أعظم الأسماء التسعة والتسعين ، لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها حتى لا يشذ منها شيء ، وسائر الأسماء لا تدل آحادها إلا على آحاد المعاني من علم أو قدرة ، أو فعل أو غيره ، ولأنه أخص الأسماء ، إذ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازاً وسائر الأسماء قد تسمى به غيره ، كالقادر ، والعليم ، والرحيم ، وغيره .

فلهذين الوجهين يشبه أن يكون هذا الاسم أعظم هذه الأسماء .

دقيقة :

معاني سائر الأسماء يتصور أن يتصف العبد بثبوت منها حتى ينطلق عليه الاسم ، كالرحيم ، والعليم ، والحليم ، والصبور ، والشكور وغيره ، وإن كان إطلاق الاسم عليه على وجه آخر يباين إطلاقه على الله ، وأما معنى هذا الاسم فخاص ، خصوصاً لا يتصور فيه مشاركة ، لا بالمجاز ولا بالحقيقة ، ولأجل هذا الخصوص ، يوصف سائر الأسماء بأنه اسم الله ، ويعرف بالإضافة إليه ، فيقال : الصبور ، والشكور ،

والجبار ، والملك من أسماء الله ، ولا يقال : الله من أسماء الصبور والشكور ، لأن ذلك من حيث هو أدل على كنه المعانى الإلهية وأخص بها فكان أشهر وأظهر فاستغنى عن التعريف بغيره . وعرف غيره بالإضافة إليه .

فائدة :

ينبغى أن يكون حظ العبد من هذا الاسم التأله ، وأعنى به أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله تعالى ، لا يرى غيره ، ولا يلتفت إلى سواه ، ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه ، وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم أنه الموجود الحقيق الحق ، وكل ما سواه فانٍ وهالك وباطل إلا به فيرى أولا نفسه أول هالك وباطل ، كما رآه رسول الله ﷺ حيث قال : أصدق بيت قالته العرب قول لبيد :

«ألا كل شيء ما خلا الله باطل . . .» .

«الغفار» هو الذى أظهر الجميل ، وستر القبيح ، والذنوب من جملة القبائح التى سترها بإرسال الستر عليها فى الدنيا ، والتجاوز عن عقوبتها فى الآخرة ، والغفر هو الستر وأول ستره على العبد أن جعل مقابح بدنه أى ما تستقبحها الأعين مستورة فى باطنه مغطاة فى جمال ظاهره . وكم بين باطن العبد وظاهره فى النظافة والقذارة وفى القبح والجمال ، فانظر ما الذى أظهره وما الذى ستره .

وستره الثانى : أن جعل مستقر خواطره المذمومة وإرادته القبيحة ، ستر قلبه حتى لا يطلع أحد على ستره ، ولو انكشف للخلق ما يخطر بباله فى مجارى وساوسه وما ينطوى عليه ضميره من الغش والخيانة وسوء الظن بالناس لمقتوه ، بل سعوا فى روحه وأهلكوه ، فانظر كيف ستر عن غيره أسراره وعوراته .

وستره الثالث : مغفرته ذنوبه التى كان يستحق الافتضاح بها على ملأ الخلق ، وقد وعد أن يبدل سيئاته حسنات ليستر مقابح ذنوبه بثواب حسناته مهما ثبت على الإيمان .

تنبيه :

حظ العبد من هذا الاسم ، أن يستر من غيره ما يحب أن ينستَر منه . فقد قال عليه السلام :

«من ستر على مؤمن عورته ، ستر الله عورته يوم القيامة» ، والمغتاب والمتجسس والمنتقم والمكافئ على الإساءة بمعزل عن هذا الوصف ، وإنما المتصف به من لا يغشى من خلق الله تعالى إلا أحسن ما فيه ولا ينفك مخلوق عن كمال ونقص وعن قبح وحسن ، فمن تغافل عن المقابح وذكر المحاسن ، فهو ذو نصيب من هذا الاسم ، كما روى عن عيسى عليه السلام ، أنه مرَّ مع الحواريين على كلب ميت قد غلب نتنه ، فقالوا : «ما أنتن هذه الجيفة» ، فقال عيسى عليه السلام :

«ما أحسن بياض أسنانه» تنبيهاً على أن الذى ينبغى أن يذكر من كل شىء ما هو أحسن .

«الرزاق» هو الذى خلق الأرزاق والمرتزقة : وصلها إليهم ، وخلق لهم أسباب التمتع بها .

والرزق رزقان : رزق ظاهر ، وهو الأقوات والأطعمة ، وذلك للظواهر ، وهى الأبدان .

ورزق باطن : وهو المعارف والمكاشفات ، وذلك للقلوب والأسرار . وهذا أشرف الرزقين ، فإن ثمرته حياة الأبد ، وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد إلى مدة قريبة الأمد . والله المتولى لخلق الرزقين ، والمتفضل بالإيصال إلى كل من الفريقين ، ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر .

تنبيه :

غاية حظ العبد من هذاالوصف أمران :

أحدهما : أن يعرف حقيقة هذا الوصف ، وأنه لا يستحقه إلا الله تعالى ، فلا ينتظر الرزق إلا منه ولا يتوكل فيه إلا عليه ، كما روى عن حاتم الأصم . أنه قال له رجل : من أين تأكل؟

قال : من خزانته .

فقال الرجل : أيلقى عليك الخبز من السماء؟

فقال : لو لم تكن الأرض له ، لكان يلقيه من السماء . .

فقال الرجل : أنتم تؤولون الكلام .

فقال : لأنه لم يتزل من السماء إلا الكلام .

فقال الرجل : أنا لا أقوى على مجادلتك .

فقال : لأن الباطل لا يقوم مع الحق .

الثانى : أن يرزقه علماً هادياً ، ولساناً مرشداً معلماً ، ويداً منفقة متصدقة ، ويكون سبباً لوصول الأرزاق الشريفة إلى القلوب بأقواله ، وأعماله ، وإذا أحب الله تعالى عبداً أكثر حوائج الخلق إليه ، ومهما كان واسطة بين الله وبين العباد فى وصول الأرزاق إليهم ، فقد نال حظًّا من هذه الصفة . قال النبى عليه الصلاة والسلام :

« الخازن الأمين الذى يعطى ما أمر به طيبة به نفسه أحد المتصدقين . وأيدى العباد خزائن الله تعالى ، فمن جعلت يده خزانة أرزاق الأبدان ، ولسانه خزانة أرزاق القلوب ، أكرم بثواب من هذه الصفة » .

الفصل الخامس

ثمرة الدعاء

يقول الله تعالى :

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً . يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [1] .

إنه وعد من الله تعالى ، مبنى على أسس واضحة . فإذا أقيمت هذه الأسس كانت النتائج والثمار لا تتخلف . وهذه النتائج والثمار ستبقى ما بقيت الأسس .

أما الأسس فإنها الإيمان والأعمال الصالحة ، والأعمال الصالحة المترتبة على الإيمان القرآنى كل متماسك : إنها صلاة وصيام وهى إعداد واستعداد بصورة تتناسب مع قوله تعالى :

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ [2] .

وهى خلق كريم ، نابع من مصادر الخلق الإسلامى ، وهى الكتاب والسنة القولية والعملية . إن الأعمال الصالحة استقامة فى جميع الزوايا والميادين : إنها استقامة فى العمل ، واستقامة فى العبادة ، واستقامة فى

---

(١) النور : ٥٥ . (٢) الأنفال : ٦٠ .

السلوك . استقامة على النهج الإسلامى فى الروح والشكل ، فى الجوهر والرسم .

فإذا ما تحقق الإيمان والأعمال الصالحة ، تحققت الثمار التى وعد الله سبحانه وتعالى بها . وأولى هذه الثمار هى الخلافة فى الأرض .

ولقد جعل الله الإنسان فى الأرض خليفة . والإنسان الذى يهيئ له الله الخلافة الحقة ، هو الإنسان المؤمن إيماناً حقيقيًّا ، والإيمان الحقيقى يتضمن العمل الصالح ، ولن يتأتى أن يكون العمل الصالح إلا إذا كان على أساس من العلم ، ومن أجل ذلك علم الله آدم عليه السلام الأسماء كلها قبل جعله على الأرض خليفة . ومن أجل ذلك أيضاً ، كان رسول الله ﷺ يدعو الله قائلا : رب زدنى علماً .

وسنة الله تسير على نسق مطرد ، منذ أن خلق الخلق إلى الآن ، وهو سبحانه كلما أقيمت الأسس أخذ بيد المقيمين لها ، فرفعهم إلى القمة أفراداً كانوا أو جماعات .

الثمرة الثانية التى يجنيها أصحاب الإيمان والعمل الصالح أن يمكن الله سبحانه وتعالى لهم دينهم الذى ارتضى لهم .

وإن الدين الذى رضيه الله ديناً منذ بدء الخليقة ، إنما هو الإسلام . ولقد قال الله سبحانه :

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ .

وقال :

﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ .

وتمكن الدين معناه : الأمان على أسمى ذخيرة عند المؤمن . إنه الاطمئنان الخالى من القلق على ما هو أعز عند المؤمن من نفسه وماله .

أما الثمرة الثالثة التى يجنيها المؤمنون الصادقون فهى : أن يبدل الله خوفهم أمناً ، وقلقهم اطمئناناً . وتأمل قوله تعالى فى مواقف المؤمنين الصادقين . يقول سبحانه :

﴿الذين قال لهم الناس . إن الناس قد جمعوا لكم . فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله . والله ذو فضل عظيم﴾ [1] .

إن ثمرة الثمار ، وإن نتيجة النتائج هى ما عبر عنه سبحانه بقوله :

﴿يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً﴾ .

وأما بعد : فإذا ما عبدوه سبحانه دون إشراك . إذا ما عبدوه فى إخلاص لا يشوبه شرك ، إذا ما حققوا العبودية له سبحانه ، العبودية فى الباطن والظاهر . فى القلب والسلوك . فإنه سبحانه وتعالى يدخلهم فى رحمته ، ويشملهم على الدوام بهدايته ونصره .

﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾ .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) آل عمران آية ١٧٣ ، ١٧٤ .

فهرس

١ – فى الذكر

٢ – فى الدعاء

كتب للمؤلف

التفكير الفلسفى فى الإسلام
المنقذ من الضلال
فتاوى الإمام عبد الحليم محمود
الإسلام والعقل
القرآن والنبى
فاذكرونى أذكركم
الطريق إلى الله لأبى سعيد الخراز
الرعاية لحقوق الله للحارث المحاسبى
القرآن فى شهر القرآن
فتاوى فى الشيوعية
مقالات فى الشيوعية
أبو ذر الغفارى والشيوعية
محمد رسول الله لإتيين دينيه
الصلاة أسرار وأحكام
شهر رمضان
سفيان الثورى
السيد أحمد البدوى
أوربا والإسلام
المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جينيبير
الإسراء والمعراج
كتاب الجهاد
المدرسة الشاذلية
الحمد لله هذه حياتى

رقم الإيداع	١٩٩٣ / ٣٦٠٨
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-4045-1

١ / ٩٣ / ٣٠
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

هذا الكتاب

حينما يكرر الإنسان بلسانه وقلبه اسما من أسماء الله الحسنى ، فإنه يكون ذاكراً وداعيا . .

أما فضل هذا الذكر فهو لا يُعَدُّ ولا يحصى ، ذلك أنه فضل مرتبط بإله معبود لا شريك له ، يسمع الدعاء ، ويرحم العباد ، ويرضى عن المخلصين المؤمنين . .

وهذا الكتاب يقدم طرفاً من هذا الفضل العظيم على هدى من كتاب الله وسنة رسوله ، ويرسم طريق الفلاح والرشاد للإنسان المؤمن .



١٠٠٥